

# مراجعات

ملحق شهري تصدره وزارة الأوقاف والشؤون الدينية بالتعاون مع «الرؤية»

شوال 1441 هـ - يونيو 2020

## الصفحة الأولى...

### هلال الحجري

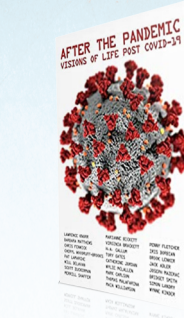
من الشعراء الذين مَجّدوا الغرب، خاصة البَدُو، الشاعر الإنجليزي ويلفريد سكاوين بلنت (1844-1922)، وهو شاعر ورخالة شكّل هو وزوجته آن إيزابيلا بلنت ثنائيا معروفا بحب الخيل العربية الأصيلة والترحال في مصر وسوريا ونجد والعراق. نتج عن هذه الرحلات مؤلفات؛ مثل: «القبائل البدوية لبلاد الرافدين»، «والخيول العربية الأصيلة»، «الحج إلى نجد» لأن بلنت، و«مستقبل الإسلام»، و«المذَهَبات السبع في الجاهلية»، و«التاريخ السري للاحتلال الإنجليزي لمصر» للشاعر ويلفريد بلنت، وعلى المستوى الشعري، فقد نشر ولغريد مجموعة من الأعمال؛ منها: «سونتات وأغنيات لبروتوس»، وقد تضمن هذا العمل -الذي نُشر سنة 1875- قصيدة بعنوان «إلى بدو العرب»، أو كما ترجمتها هنا «إلى العرب العُزباء».

لقد فُتِن بلنت -كما فُتِن غيره من الأدباء الأوروبيين منذ القرن الثامن عشر إلى النصف الأول من القرن العشرين- بَدُو العَرَب؛ ففي عصر التنوير في أوروبا أصبح عربي الصحراء رمزا لـ «البدائي النبيل» (Noble Savage)، الذي تجتمع فيه صفات «الحرية، والاستقلالية، والبساطة»، كما صورها الرحالة الدانيماركي كارستين نيبور حين زار جزيرة العرب في الستينيات من القرن الثامن عشر. وفي المرحلة الرّومانسيّة -كما يرى تيم فلفورد- يبرز عربي الصحراء في رواية الشاعر البريطاني ويليام وردزورث لحلم كوليريدج، على أنه «رسول الرؤيا»، ويمثل «هروبا من أسطول المياه للعالم الغارق»، وظلت هذه الرؤية الرومانسية للبدو حتى لدى المتأخرين من الرحالة الغربيين مثل ويلفريد تيسيجر، الذي قضى خمس سنوات في عمان مرتحلا مع البدو في صحراء الربع الخالي، ما بين 1945 إلى 1950، وقد أهدى بصبرهم، وشجاعتهم، وتسامحهم، وكرمهم وتبليهم.

وبهذا المنظور، يمكن فهم الأوصاف الباذخة التي أسبغها ويلفريد بلنت على البدو في بلاد العرب، ضمن هذه الأدبيات التي أترجمها اليوم:

(إلى العَرَب العُزباء)

يا بني سام بن نوح أنتم  
صفوة العَرَب وأبناء الجنان  
يُهرَغ العالمة للذل ولا  
تُعرفون العار أو ذرب الهوان  
كيف يخشى الفقَر مُعتز بما  
كسبت كفاة، والله استعان؟  
يؤمن الأعراب بالغَيْب، وإن  
آمنوا بالغَيْبِ إيمان العيان  
لكم الشمس وتَهْتان الدنيا  
يا بقايا الرُّشد في هذا الزمان  
لكم الإقْدام، لا عاشت لنا  
في بني يافث أنفاس الجنان!  
عَبثًا نلهم في هذي الدنيا  
لكم العَرَب، ومن حَبِي البَيان



• ما بعد الجائحة...  
• مجموعة من الباحثين



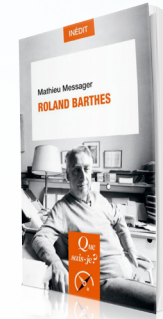
• ألف باء...  
• جوسيب كاسيني  
• وسيم دهمش



• الشرح الإسلامي...  
• إيميليا جيستينا باول



• أيضا تاريخ آخر للفلسفة  
• يورغن هابرماس



• رولان بارث  
• ماتيو ميساجير



• الكوكب الفارغ  
• داريل بريكر  
• جون إيبستون



• رحلة الإنسانية  
• أوري كاتز  
• أوديد جالور



• سوق الفن في القرن  
• الحادي والعشرين...  
• آنا أروتيونوفا

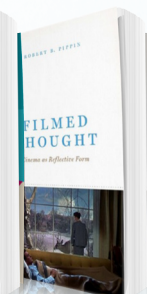
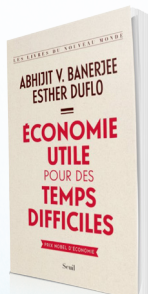


• أشجار سدرة المنتهى  
• في حدود باكستان  
• رشيد الدين



• كلمات من أجل  
• ال«نحن» الشاملة...  
• محمد سمير مرتضى

## إصدارات عالمية جديدة





## الشرع الإسلامي والقانون الدولي الحل السلمي للنزاعات إيميليا جيستينا بول

مُحمَّد الشيخ \*

ثمة سمة يرى بعض أصحاب التاويليات أنها لا بد من أن تتوافر في ذهنية الباحث إزاء الموضوع الذي يُقبل على دراسته. هي سمة «التعاطف». هي سمة لا تعني، بأي حال من الأحوال، معنى «التحيز»، وإنما تفيد، بالأولى، معنى «الشغف بالموضوع». أو لم يتقدم لهيجل أن قال: «لا شيء عظيم يُمكن أن ينجز من غير ما شغف»؟ والحق أن هذا «الشغف» ما كان هو ما نقص الباحثة بول وهي تقبل على موضوع دراستها. الشرع الإسلامي والقانون الدولي (٢٠٢٠).

تذكر الباحثة. في صفحة تشكراتها. أنها شغلت نفسها، بل شغفتها، بالتفكير في العلاقة بين «التقليد الشرعي الإسلامي» و«القانون الدولي» منذ أمد، وأن وجهة نظرها تأثرت تأثراً عميقاً بالمحادثات التي دارت بينها وبين زملاء لها وأصدقاء وأفراد من أسرتها وصانعي القرار وممارسي الشرع تذكر منهم ما ينيف عن العشرين. لكن ما يسترعي الاهتمام أنها تشكر أسرتها البولندية. زوجاً وأباً وأماً وجدة. على تشجيعهم لها للمضي في البحث ومرافقة الوالد لها في أسفارها إلى بلدان الشرق الأوسط وصبره على حضور إجرائها مُقابلات مع من تسميهم صناع القرار والسياسة والباحثين في التقليد الشرعي الإسلامي... وتشير بهذا الصدد إلى أنها تنبهت، من خلال لقاءاتها العديدة مع الممارسين للشرع ودارسيه وصناع السياسة الدولية في العالم الإسلامي، إلى كيف أنهم يشكون من أن «الشرع» أسيء فهمه من لدن المجتمع الدولي، وما من مسلم حاورته إلا وألح على أهمية أن يُفهم «الشرع» حق فهمه على المستوى الدولي. وكلهم طرحوا مشكلة الفارق بين حقيقة الشرع في نفسه وكيف يُدركه المجتمع الدولي. وكان هذا من أوكد الواجبات التي حضتها على تأليف هذا الكتاب.

تقر الباحثة بأن النظر في هذا الأمر أدى بالعديد من الباحثين الغربيين إلى إقامة تضاد بين «التقليد الشرعي الإسلامي» و«القانون الدولي»؛ بحيث وضعوا هذه الدول في خانة واحدة على أنها دول إسلامية على نفس الدرجة. والحال أن هذه المثنوية الحادة هي ما تهدف المؤلفة إلى مراجعته: يزعم هؤلاء أن ثمة، من جهة، «الشرع» الذي يتضمن فهماً مميزاً لمعنى تدبير الحكم. ما أصله، وكيف ينبغي أن يكون. والذي هو، عند المسلمين، إرادة الرب الكاملة؛ علماً بأنه لا يصدر عن كامل (الله) سوى كامل (الحكم أو التحكيم). وثمة، من جهة أخرى، «القانون الدولي الحديث» الذي هو، وعلى الرغم من ارتباطه التاريخي بالفكر الشرعي المسيحي، قانون دنيوي يسعى إلى توفير حلول عادلة ودنيا داخل إطار عقلاني دنيوي. وبناء عليه، تم تقديم صورة اختزالية: صُوِّر الغرب على أنه المؤيد الأساسي للقانون الدولي، و«صُوِّر» دول الشرع؛ على أنها خطر على الدنيوية وعلى العقل القانوني. وقد وُضعت هذه الدول في كفة واحدة كما لو ما كانت هي توجد بينها بينونة، وإنما يجمعها العداء للقانون الدولي؛ ولا سيما اتجاه المحاكم الدولية. ولذلك سرعان ما يتفاجأ هؤلاء تفاجؤ «ارتيازية» و«كليبية» كلما لجأت «دولة شرع» إلى المحاكم الدولية؛ مع أن بعض «دول الشرع» تلجأ إلى المحاكم الدولية أكثر مما تفعله الصين وروسيا والأرجنتين وبولندا!

تهدف المؤلفة إلى مراجعة مثل هذه الأحكام. فلا تنظر النظرة الثنائية الماثوية، وإنما تنظر إلى النظام الشرعي الإسلامي، كما يمارس على أرض الواقع، على أنه يقوم على «المرج» بين القوانين الدنيوية والدينية. وهذا هو ما يشكل رؤى هذه

إشكالات الكتاب الأساسية  
تشير المؤلفة، بدءاً، إلى واقعة: وجود تسعة وعشرين دولة اليوم في العالم تستلهم قوانينها بهذا القدر أو ذاك من الشرع الإسلامي، وذلك سواء تعلق الأمر بقانون الأحوال الشخصية أو بالقانون المدني أو بالقانون التجاري أو بالقانون الجنائي. كما يشكل المسلمون أزيد من نصف سكانها (٩٠٠ مليون نسمة)، ويشكلون في مواطنهم (٩٠٠ مليون نسمة) وفي مظاعنهم (٧٠٠ مليون نسمة) ربع سكان العالم (إحصاءات ٢٠١٥). ثم تطرح، من وجهة نظر عملية وليس متعالم، الإشكالات التي يعالجها الكتاب: كيف تنظر هذه الدول إلى «القانون الدولي» وإلى هيئات حل النزاعات الدولية وإحلال السلام العالمي؟ هل تتجنب «دول الشرع» هذه اللجوء إلى المحاكم الدولية؟ وهل التقليد الشرعي الإسلامي لا يتوافق مبدئياً مع القانون الدولي؟ وكيف يمكن فهم وتحديد العلاقة بين الوسط الإسلامي والقانون الدولي في ما يخص سياق الحل السلمي للنزاعات؟

تقر الباحثة، بداية، أنه لا يوجد جواب موحد لدى هذه الدول على هذه الإشكالات، وأنها تختلف فيما بينها على هذا الصعيد، بل إنه حتى في ما بينها البين توجد خلافات في أمر اللجوء في حل نزاعاتها الثنائية إلى القانون الدولي؛ إذ يفضل بعضها المفاوضات الثنائية والوساطة الإقليمية، بينما يؤثر الآخر اللجوء إلى هيئات التحكيم الدولية. وهذا يلجئ الباحثة إلى الدفع بإشكالاتها قدماً بطرح سؤال (لماذا): ترى، لماذا تُقبل دول من هذه الطائفة من البداية على المحاكم الدولية بينما تتحاشاها أخرى؟ وهل يمكن الوصول إلى «أنموذج» عام ينطبق على سلوكيات كل هذه الدول بهذا الشأن؟

زوجت المؤلفة بين مقاربتين لموضوعها: المقاربة الكمية والمقاربة الكيفية. عادت إلى دراسة البنيات القانونية لحوالي ثلاثين دولة إسلامية من عام ١٩٤٥ إلى عام ٢٠١٢. وأحصت كل خصائص تلك البنيات المتغيرة، واستقصت التعالق بين «القانون الدنيوي» و«القانون الديني» فيها. ولربما يكون هذا الكتاب أول «جامع» ضم كل هذه المعارف ومضى إلى ما هو أعمق من جرد السمات المميزة. كما أنها درست حوالي ١٧٢ دستوراً وأهم بنوده عبر الزمان والمكان في هذه الدول الثلاثين، واعية بمحدودية المقاربة الكمية الإحصائية، تائفة إلى ما هو أعمق منها. ولذلك أرادت لمقاربتها أن تكون مقارنة ببنية: بين ما تسميه «المعرفة المجردة»، وما تدعوها «المعلومة الإحصائية»، ولذلك عادة ما أكملت المعلومة بالمقابلة والمعارف باللقاءات.

تعتقد المؤلفة، حسب ما أتاح له اطلاعها الواسع، أن هذا الكتاب هو أول عمل يفحص فحصاً اختبارياً ما إذا كانت أوجه التآلف وأوجه التخالف بين «القانون الدولي» و«الشرع الإسلامي» تهم في أمر تشكيل مواقف «دول الشرع» نحو هيئات تدبير النزاع دولياً. وترى أنه على مستوى دراسات العلاقات الدولية، ثمة نقص شديد في الدراسات الاختبارية التي تركز على رؤية الوسط الإسلامي لهيئات تدبير النزاع؛ فضلاً عن طغيان الجانب النظري، وليس الاختباري، على هذه الدراسات إن وُجدت، وهي دراسات وصفية أو معيارية، يغيب عنها سؤالات: سؤال الكيفية (كيف؟) وسؤال اللمية (لم؟). ولهذا تستعيد هذا المفقود في الدراسات لكي تطرح في كتابها هذا سؤالي: «كيف يؤثر تنوع وتفاوت حضور الشرع الإسلامي، في أنظمة «دول الشرع» القانونية، على رؤى هذه الدول لهيئات تدبير فض النزاع؟ ولم، يؤثر هذا الأمر، يا ترى؟



ومؤسساته؛ ومن ثمة لا حظ لها في أن تدمج عناصر من الشرع الإسلامي في تدبير النزاع دولياً. ويلعب انعدام اليقين هذا دوراً كبيراً في توجيه اختيار دول الشرع بين الإمكانيات المتاحة لحل النزاعات. وإذا ما عدنا إلى التقليد الشرعي الإسلامي في تدبير النزاع، نجد أنه يقوم على أربع سمات: أ. منطق عدل موحد لا ازدواجية فيه ولا تعددية. ب. حل النزاع من غير مواجهة أو مجابهة. ج. الاندماج/الالتزام الجماعي في إطار طرف ثالث لحل النزاع بين طرفين. د. استدمج مبادئ الشرع الأساسية في عملية حل النزاعات. وبدل المقاربة المؤسسية لحل النزاع على الطريقة الغربية، يلجأ التقليد الشرعي الإسلامي إلى الصلح وإلى الحوار بين المتنازعين. فيتم بذلك حل النزاع ودياً. على نحو أعدل شرعاً وأسمى خلقاً. من غير لجوء إلى رسميات المؤسسات مثل المحاكم. لكن، من بعض مفارقات هذا النموذج أنه يعين خيارات دول الشرع، لكنه في الوقت نفسه يرفع من درجة الريبة والتوجس الذين تواجهها في حل النزاع. على أن حضور هذا النموذج الشرعي في تدبير الخلاف على المستوى الدولي لا يحظى بنفس الأهمية لدى كل «دول الشرع». وما تذهب إليه المؤلف بهذا الصدد هو أن «دول الشرع» التي أنظمتها القانونية الداخلية عالية المنسوب الشرعي هي التي تؤدي أكثر الاحتكام إلى آليات الشرع التقليدية في نزاعاتها الدولية. ولذلك تنجذب بالتلقاء إلى الوساطة والصلح، لكن «دول الشرع» التي تتضمن أنظمتها القانونية الداخلية منسوبة أقوى من القوانين المدنية، تُقبل، بالضد، على مؤسسات التحكيم الدولية؛ بحيث تشكل القوانين المدنية فطرة طبيعية إلى المحاكم الدولية ومحكم التحكيم. وبالجملة، لا يوجد نموذج عام يحدد خيارات الوسط الإسلامي لطرائق دولية لتدبير النزاع؛ إذ ينجذب مختلف «دول الشرع»، كل حسب خياره، إلى مختلف طرق حل النزاعات الدولية. والباعث الحاسم هنا هو مدى التوازن بين القوانين المدنية والقوانين الدينية داخل النظام القانوني الذي تتبناه هذه الدول.

أمران قد يثيران النظر في هذا الكتاب: أولهما؛ تنبيه المؤلف إلى أصول «القانون/الفقه الدولي الإسلامي» في ما كان يدعوه القدماء، في لفظ كاد أن يبيت اليوم نسياً منسياً، «السير». ومن هنا أهمية نشر كتاب السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني (١٣١ هـ. ١٨٩٠) الذي يمكن أن يعد بحق من أقدم نصوص الفقه الدولي الإسلامي. وثانيهما؛ أن نحت مصطلح «دول الشرع»، تفادياً لمصطلح «الدول الإسلامية»، قد يثير من الإشكالات أكثر مما يحلها.

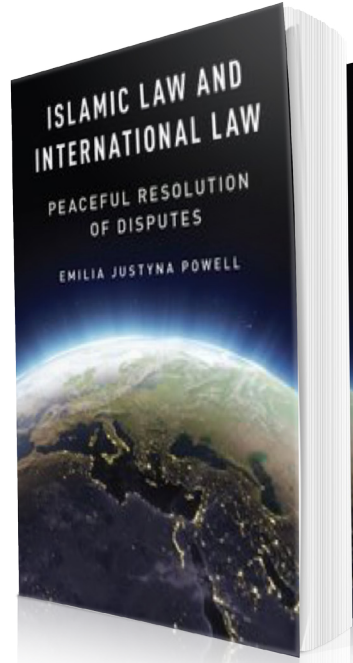
• الكتاب: الشرع الإسلامي والقانون الدولي

• المؤلف: إيميليا جوستينا باول

• تاريخ النشر: 2020

• دار النشر: مطابع جامعة أوكسفورد

\* أكاديمي مغربي



### تنوع شرائح «دول الشرع»

ما من «دولة شرع» إلا وشأنها أن تتبنى صلة فريدة بين القوانين المدنية والشرائع الدينية في تدبير أمورها الداخلية. هذا فضلاً عن إرثها الشرعي المختلف في ما بينها البين: شيعية (جعفرية وإسماعيلية وزيدية) وسنة (حنفية ومالكية وشافعية وحنبلية)، فضلاً عن إباضية. وثمة تفاوت بين هذه الدول في مدى استدمج الشرع. بمختلف تأويلاته. في مروحة واسعة؛ من مجرد «رمز» إلى «تطبيق» شامل أو شبه شامل حد جعلها من الشريعة دستورها (السعودية، إيران). ولا وجود لشرعية إسلامية بل شرائح، وهي تتعلق كلها بطريقة تأويلها ومزجها في نظام قانوني داخلي واحد. إنما الشريعة نظام قانوني حي متطور قابل لأفهام عدة ويمكنه أن يندمج. إلى حد معين. في البنى الحديثة لإيالة الدولة، وما كانت هي تقليداً يجمد على المسطور، وشرعية الماضي غير شريعة الحاضر.

بناء على هاتين المقدمتين، تعيد المؤلف صياغة إشكالات الكتاب البديهية الصياغة الأدق: ترى، هل يؤثر ميزان التوازن بين القانون المدني والقانون الديني، ضمن قوانين دول الشرع، على تفضيلات هذه الدول لهيئات حل سلمي للنزاع بخاصة؟ وما العوامل التي يمكن أن تفسر أن بعض هذه الدول تختار طرائق حل سلمي تمتح من القانون الدولي شأن المحاكم الدولية ومحكم التحكيم، بينما تفضل أخرى الوساطة والصلح؟ وهل يمكن أن نشدد على الفوارق بين «الشرع الإسلامي» و«القانون الدولي» باعتبارها قادرة على عزل الوسط الإسلامي عن القانون الدولي ومؤسساته، أم بالضد يمكن التخفيف من تلك التباينات؟

### أطروحة الكتاب مجملتها

ثمة ظل من عدم اليقين يرافق كل لجوء إلى طرف ثالث للتحكيم بين متنازعين. والأمر أولى بالانطباق على «دول الشرع» لا سيما وأنها لم تساهم في إنشاء القانون الدولي

الدول في تدبير النزاعات الدولية؛ بما يجعل مسألة ما إذا كان «الشرع الإسلامي» يتوافق مع «القانون الدولي»، وما إذا كانت هذه العلاقة لدى كل الدول مستقرة «مسألة مفتوحة». علماً أن الشعائر الداعية إلى دولة الشريعة شيء، والممارسات الواقعية شيء آخر. وأن الشريعة من حيث هي «قانون رسمي» هي غير الشريعة من حيث هي «رمز».

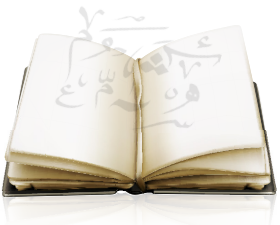
وفي إطار هذه النظرية الاختبارية الواقعية، ترى المؤلفة أن عالم اليوم يشهد على أن من أهداف المجتمع الدولي الحل السلمي للنزاعات. ولهذا ثمة حاجة للدول غير الإسلامية إلى التعاون مع «دول الشرع» في مروحة واسعة من العضلات الدولية؛ من التجارة إلى مسائل النزاع والسلام. وبغاية أن يكون الحوار بين الثقافتين مثمراً، يحتاج الأمر إلى فهم عميق للشرع الإسلامي. بما في ذلك تنوعه وتطوره. وأكثر من هذا، ينبغي فهم وتفهم هذا «المزج» القائم داخل أنظمة «دول الشرع» القانونية بين القوانين المدنية والقوانين الدينية. وأطروحة المؤلف بهذا الصدد أن طبيعة التوازن بين هذين القانونين هي ما يفسر تفضيلاتها لطرائق تدبير النزاع الدولي.

وبغاية تسويق أطروحتها، تدافع المؤلفة عن فكرة أن التقليد الشرعي الإسلامي ما كان مبدئياً في تناقض جوهري مع القانون الدولي، حتى وإن أقام الباحثون تعارضاً مصطنعاً بينهما، وإنما الضد هو الصحيح: كلا النظامين. في ديناميته الداخلية وفي تطوره. يتقاسم مع الآخر نقط اختلاف أكثر مما يصوره الباحثون. ثمة ثلاث نقاط اختلاف: أ. القانون هو ما أنشأه فقهاء القانون. ب. حضور العرف. ج. الإيمان بضرورة حكم القانون. وثمة ثلاث نقاط اختلاف: أ. الصلة بين القانون والدين. ب. مصادر التشريع. ج. الرموز الدينية في قاعة المحاكم. وترسم الباحثة خطوط التماس بين النظامين بالتعاضد بلا تنازع، وتجد أنه يوجد من ألوان الائتلاف بين النظامين أكثر مما يوجد من ألوان الاختلاف؛ فضلاً عن أن كلاهما متطور، وهو تطور يسير نحو مزيد من التلاقي، بينما التركيز على نقط الاختلاف أمر مظل. كما تدعو، بالمقابل، إلى انفتاح أكبر للقانون الدولي بحيث يستدمج الرؤى غير الغربية الإسلامية هنا. في إطار بعدها المقارن، سعياً إلى مزيد من الانسجام الدولي.

### مقدمات أطروحة المؤلف:

#### نظرية الحل الإسلامي للنزاعات

كيف تنظر «دول الشرع» إلى طرائق تدبير النزاع؟ هي ذي المسألة النواتية في هذا الكتاب. والجواب: لا توجد نظرة واحدة. فالأمر حسب طبيعة النظام القانوني لكل دولة دولة؛ كيف تنتظم الصلة بين القوانين المدنية والشرائع الدينية في أنظمة هذه الدول القانونية. وهذا يعني أنه ما كانت هذه الدول «إسلامية» على نفس الجديدة. ثمة طرائق في الإسلام قدد. ولئن كان القدماء قالوا: الطرائق إلى الله بعدد أنفس الخلائق، فإن لسان حال المؤلف يقول: الطرائق إلى الإسلام بعدد دول الشرائع. ومختلف طرائق تعالق القوانين الدينية بالمدنية هو ما يجعل مواقف هذه الدول من التحكيم الدولي لحل النزاعات تتباين.



## ألف باء الثقافة العربية الفارسية في الغرب جوسيبى كاسيني ووسيم دهمش

عزالدين عناية \*

يندرج هذا الكتاب ضمن الكتب الناجحة في مخاطبة القارئ الغربي بشأن مضامين الحضارة الإسلامية وقضاياها الكبرى. ففى المكتبات الغربية، مع كل توتر للعالم الإسلامي مع العالم الغربي في المجال السياسي، يتدفق سيلٌ من الكتابات الموجّهة للاستهلاك السريع، يندر أن تجدَ بينها مؤلفاً ينحو منحى رصيناً وموضوعياً في معالجة القضايا الدينية أو السياسية. الكتاب الحالي -الذي نعرضه- هو عبارة عن مدخل للثقافة العربية موجّه إلى القارئ الغربي، اعتمد فيه المؤلفان أسلوباً جمع بين خاصية الإقناع العلمي وخاصية الحكى والشرح. فلا يضمُّ الكتاب فصولاً، وإنما يأتي مبوّباً بناءً على استعراض قضايا متسلسلة تقوم مقام الفصول، تنضوي تحتها مفاهيم يتحوّل شرحها إلى مقاربات وقضايا ونقاشات تعالج مسائل إشكالية بين الحضارتين الإسلامية والغربية. فالكتاب بإيجاز هو معالجة لقضايا مثار إشكال، بين العقل الغربي والعقل الإسلامي، يرمي المؤلفان من خلالها إلى تسوية اللاتفاهم الحاصل.

تلك القضايا عادلة وديمقراطية وإنسانية ومنحازة إلى الخيارات المشروعة. نشير إلى أن وسيم دهمش هو إيطالي من أصول فلسطينية، سبغيني هاجر إلى إيطاليا وهو لم يتخطَ بعدَ العقد الثاني من عمره. يُعدُّ أبرز وجه ثقافي عربي في إيطاليا. وقد رُفد المكتبة الإيطالية بجملة من الأعمال المترجمة من العربية، فضلاً عن بعض المؤلفات البحثية. تقريبا جلُّ مؤلفات وسيم دهمش منشورة في إيطاليا نذكر منها: كتاب «الشعر في المغرب»؛ «فلسطيني وقصص أخرى» لسميرة عزام؛ «دون كيشوت في الجزائر» لواسيني الأعرج؛ «أبيات من الجليل» لسميح القاسم؛ «تحت جناح الظلام» و«مجرد ٢ فقط» لإبراهيم نصرالله؛ «البئر الأولى» لجبرا إبراهيم جبرا، «أرض البرتقال الحزين» لغسان كنفاني وغيرها من الأعمال. من مؤلفات وسيم: «دراسات تطبيقية في الدارجة الدمشقية» و«خرافات فلسطينية». ترجم إلى العربية ثلاثة أعمال: رواية «موظف عادي جدا» لفتنشنزو تشيرامي، ورواية «الثمار المنسية» لكريستيانو كافينا، وكتاب «الحضور العربي الإسلامي في المطبوعات الإيطالية» من إصدارات وزارة الثقافة الإيطالية.

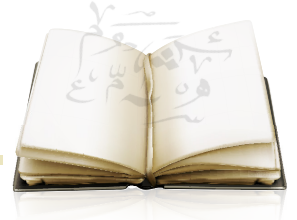
يطغى على كتاب «ألف باء الثقافة العربية الفارسية في الغرب» الطابع الثقافى الحضاري العام، فهو يمزج التاريخ القديم بالحاضر الراهن، والسياسة بالثقافة، والدين بالقانون، ناهيك عن التعرض إلى مسائل حضارية وقضايا لغوية. يحاول الكتاب أن يخاطب شرائح متنوعة، باعتماد الحكى والمحاورة والتحليل والشرح، معتمداً الوضوح في عرض الفكرة والحجّة العلمية الموثقة في دحض الشبهة. وبالفعل موضوع الكتاب ريادي، وربما يندر العثور على كتاب بهذه الصياغة وبهذا الزخم، في عرض مسائل حساسة لعقلية غربية. يرتئي مؤلفاه أن الإعلام قد أسهم مساهمة فعالة في حرق العديد من

البلدان العربية وعُين سفيراً في لبنان بين ١٩٩٨ و٢٠٠٢، تعاون باستمرار مع مجلات وصحف إيطالية ومواقفه إيجابية من العالم العربي ومن العالم الثالث، وبفضل ما ترسّخت لديه من دراية بالعالم العربي والإسلامي فهو يدرك حجم المغالطات المستشرية حول الطرفين. ليس الكاتب من الكتاب الأكاديميين أو الباحثين المرموقين في إيطاليا، وإنما كسبائيّ فهو مبدئيّ ومدافع عن عديد القضايا لعالم الجنوب. هذا وقد أصدر المؤلف جوسيبى كاسيني ثلاثة مؤلفات سياسية، الأولى بعنوان «سنوات الانحدار.. السياسة الخارجية لحكومة برلسكوني ٢٠٠١-٢٠٠٦» (٢٠٠٧)، والثاني «تشریح حرب.. الحرب الغبية في العراق» (٢٠١٣)، والثالث «أمريكا على مفترق طرق» (٢٠١٥). وهو متعاون ككاتب صحفي مع العديد من الصحف والمجلات الإيطالية.

أما الكاتب وسيم دهمش (من مواليد دمشق ١٩٤٨ لأبوين فلسطينيين)، فهو أستاذ اللغة والآداب العربية في جامعتي روما وسردينيا، وقد تقاعد منذ سنتين، ولكن لا يزال يدرّس في جامعة خاصة في روما. تلخّص مشروع دهمش بالأساس في نقل الأدب العربي الحديث والمعاصر، لا سيما منه الشعر العربي إلى الإيطالية، وقد ترجم في الشأن لشعراء عرب كثر من المشرق والمغرب وفلسطينيين بالخصوص. ولكن إلى جانب النقل من العربية أعدَّ العديد من الأبحاث المنشورة في إيطاليا تناولت مسائل اللغة والثقافة العربيتين. يؤمن وسيم دهمش أن تنقية العلاقات العربية الغربية ممّا شابها من خلط لا سبيل إلى بلوغه إلا عبر العمل الثقافى، لذلك ثمة إيمان لديه بوحدة الثقافتين وإن تباعدت الرؤى، فهناك قضايا مشتركة تُوحّد الجميع. الانفتاح الإنساني لدى المؤلف وسيم دهمش جعله لا يفصل بين قضايا الإنسان وإشكالياته، أكان في الغرب أم في الشرق، ما دامت

في مستهل الكتاب، نجد ثلاثة مفاهيم: «أهل» و«أمة» و«إرهاب». يرد حديث لغوي تمهيدي عن المفهوم الأول يعقبه حديث عن مدلول الأهل وتطوّراته في الثقافة العربية والمسائل القانونية والدينية المتعلقة بذلك وغيرها من القضايا. ليلي ذلك حديث عن مفهوم الأمة، وهي كلمة ذات حمولة دينية في التصور الغربي، يحاول الكتاب أن يعطيها مدلولها الصائب، كما نشأت داخل الثقافة العربية دون حصر لها. ثم ينختم الفصل بالحديث عن مفهوم الإرهاب، وهي كلمة متداولة بكثرة في الأدبيات الغربية في العقود الأخيرة، مبرزاً الكتاب القضايا المرتبطة بهذه الكلمة، ومستعرضاً دلالاتها في التصور الغربي والعربي والقضايا الحافة بها. وعلى النسق ذاته يتناول الكتاب قضايا تهّم الثقافة الفارسية المعاصرة، ليعالج مسائل ذات صلة بالواقع الإسلامي الإيراني، وما يصحب ذلك من توترات مع الغرب، هذا عموماً عن البناء الذي قام عليه فحوى الكتاب. وهو إن يبدو بسيطاً للوهلة الأولى، فهو متشعبٌ وثريٌ وعميق، نظراً للمنهج الذي حاول به المؤلفان الحديث عن كافة المفاهيم التي تحولت إلى قضايا إشكالية.

فيم تتلخّص فكرة الكتاب؟.. حاول المؤلفان اختيار ما يناهز الستين مفهوماً مفتاحياً يحمل كل منها دلالة قوية في المخيال الغربي، وحاولوا ضبط معانيها بعيداً عن التلاعب الإعلامي وحتى الأكاديمي أحياناً. فهي مفاهيم ذات دلالة مغلوبة أحياناً وأخرى مفتعلة، قدرَ الكاتبان من خلالها إدخال تصويب في الدلالة والتطرّق من خلالها إلى مواضيع عادة ما هي رائجة في الأوساط الثقافية والإعلامية. فالكاتبان أحدهما إيطالي الأصل، والآخر من أصول عربية قضى ما يزيد عن نصف قرن في إيطاليا. المؤلف جوسيبى كاسيني هو بالأساس دبلوماسي وسياسي إيطالي (من مواليد ١٩٤١)، عمل في العديد من



ونظراً لخاصية الكتاب التي تغلب عليها المسحة التفسيرية، أهمل المؤلفان الاستعانة بالرسوم والجداول والخرائط كوسائل للإيضاح. ولا نقدر من جانبنا أن هذه النوعية من الكتابات في حاجة ماسة إلى ذلك. يبقى الكتاب ممتعاً للقارئ الغربي ويغري بالمتابعة، وهو مدخل ذكي لمن يزعم الغوص في الثقافة العربية ويسعى لرؤية الأمور دون غشاوة. أقدّر أن الكتاب نجح في إيصال رؤية منفتحة عن الثقافة العربية، وهو قادر بالمثل على زحزحة العديد من الأحكام المسبقة لدى القارئ. كما أعتبر الكتاب لبنة نحو إصلاح العلاقات الحضارية، الإسلامية الغربية، وما لحقها من اضطراب وجفاء بفعل أحداث سياسية وحملات إعلامية لطالما نخرت ذلك التواصل.

ومع أن الكتاب لا ينحو منحى أكاديمياً في التأليف، ولا يلتزم التزاماً صارماً بالتقاليد المألوفة في الكتابة، فهو يفصح عن جهد كبير وبصيرة نافذة، ممتدة على مستوى الزمن وغائرة على مستوى الإلمام بالأوضاع بين الثقافتين. وهو ما جعل الكتاب رحلة شيقة في أطوار الحضارة الإسلامية واستدرجاً ذكياً للقارئ الغربي نحو عوالم الثقافة الشرقية، ففيه غوص ممتع في عديد المجالات بما يغري بالاطلاع والتوسع.

يُدرِك كاتب العرض أهمية هذه النوعية من المؤلفات في الغرب، فهي نابعة من وعي عميق بالغرب وقادرة على أن تخاطب جمهوراً واسعاً، وهي من صنف الأعمال التي تجد سماعاً ورواجاً. والكتاب على بساطة مبناه الظاهري، استطاع أن يضم بين دفتيه رؤى عميقة وإشارات ذكية، في منتهى الدقة والنباهة. وهو جهد مثابر ينبني على متابعة ورصد للعقلية الإيطالية تجاه الثقافة العربية، رغم خروجه عما هو مألوف في التأليف، وتنوع مقارباته التي لم تقنع بمنهج محدد أو مجال معين. ففي إيطاليا تقل الكتابات التي تتناول تصحيح المقولات المغلوطة بشأن الحضارة الإسلامية، سيما المكتوبة من قبل أبناء هذه الحضارة المقيمين في الغرب. ومن هذا الباب يمثل الكتاب إسهاماً قيماً في مجال قلّ التنطق إليه.

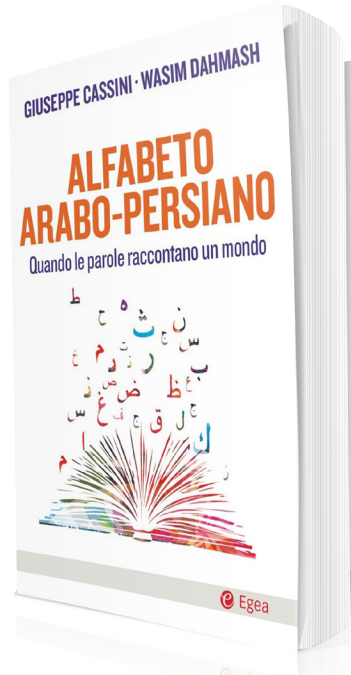
• - الكتاب: ألف باء الثقافة العربية الفارسية في الغرب.

• - المؤلف: جوسيب كاسيني ووسيم دهمش.

• - الناشر: منشورات إيجيا (ميلانو)، باللغة الإيطالية، 2019.

• - عدد الصفحات: 277 صفحة.

\* أكاديمي تونسي مقيم بإيطاليا



التي استدعت عادة ما اقتضتها المواضيع المعالجة، ولكن استدعاء المراجع العربية والفارسية لا يعني قبولاً بمحتوياتها، وإنما جاء من باب التدليل والتوضيح لا غير. تبدو نسبة المراجع العربية متواضعة، فقد تمّ التعويل على ما تُرجم إلى الإيطالية أو ما جاء في اللغات الغربية.

ويبقى الهدف الرئيس للكتاب هو الدعوة الملحة للتخلص من مركزية النظرة الغربية. إذ يبدو الكاتبان على دراية عميقة بسوء الفهم الحاصل بين الحضارتين العربية والغربية، والعوامل التي أنشأت ذلك هي عوامل متنوعة، طوراً تاريخية وتارة بموجب التقلبات السياسية المتلاحقة. فمن خلال الكتاب يحاول المؤلفان تنقية الأجواء بين أبناء الثقافتين، على أمل إرساء تفاقف هادئ خال من سوء الفهم. ليس هناك انتصار لهذا الطرف أو ذاك، بل هناك معالجة رصينة للمواضيع تغلب عليها مسحة فكرية عمية وتتميز بأسلوب هزلي أحياناً. وبشكل عام يغلب على لغة جوسيب كاسيني الطابع السياسي، وفي هذا الكتاب المشترك تقلصت المباشرة السياسية لتركن للمحاورة والمناقشة فجاءت سلسلة مقنعة. وأما وسيم دهمش فأيطاليته مبدعة، في هذا الكتاب وفي سائر الأعمال العربية التي نقلها إلى الإيطالية. فقد أذعنت له الإيطالية كما لم تدعن لغيره، وهو بالحقيقة ظاهرة لغوية متفردة في الإمساك بناصية اللغتين العربية والإيطالية.

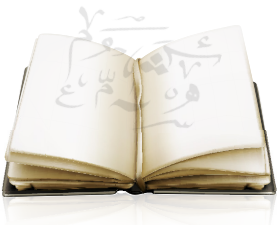
لقد تضمن الكتاب فهرساً وحيداً، وهو فهرس المصادر والمراجع. وبوصف الكتاب ليس بحثاً تاريخياً، فلعل ذلك ما جعله يتجاوز خاصيات الكتابة العلمية الصارمة.

المفاهيم عن دلالاتها الصائبة. فقد حاول الكاتبان، وهما عارفان بالعقلية الغربية تجاه الثقافة الإسلامية، وتجاه العالم العربي، أن يسلطوا الضوء على عناصر مهمة على صلة بالحوار الحضاري، والتفاهم الثقافى، وبعيدا عن المغالطات. إذ ثمة انحراف في العديد من المفاهيم ترسخ بفعل المشاحنات وحال دون التفاقف العضوي. كما لا يختار الكتاب نهج الانتقاد أو الدحض الصارم للمقولات الغربية بشأن الحضارة الإسلامية وشعوبها، من خلال ما يطبعها من تقوّل وزيف في كثير من الأحيان، بل ينهج نهجاً هادئاً في تصحيح الأخطاء الشائعة وعرض نقيضها الصائب. يسعى المؤلفان لخلق جوٍّ من الألفة في مناقشة المسائل الشائكة وإن اختلفت وجهات النظر في معالجة الأمور المطروحة.

يُمكن الحديث عن مؤلفات أخرى انتهجت منهج المصالحة بين الثقافة الغربية والثقافة العربية، لكنها في الغالب الأعمّ جاءت نخبوية أو محصورة بمجال معين، وهو ما جعلها غير مسموعة أو فاترة التأثير. وأغلب تلك المؤلفات تناولت القضايا السياسية، ولكن قلّ أن تناول كتاب بهذا العمق والشمول المسائل الثقافية الإشكالية وحاول إعادة عرضها. وفي الفترة الأخيرة، وبموجب التوتر الحاصل بين الشرق والغرب (جاء موجة الإرهاب، والإسلاموفوبيا، والحركات المتطرفة، واستفحال الحركات العنصرية، وتمدد الشعبوية) ظهرت كتابات تدعو للمهدئة وتغليب صوت الحكمة والعقل والتعاون من أجل هدف إنساني جامع، ولكن في مجملها كانت كتابات مستعجلة ولم تذهب إلى غور الأشياء في تصحيح المفاهيم.

لعل الشيء المميز للكتاب هو الفهم العميق للواقع الغربي والإلمام الرصين بالفضاءين العربي والإيراني، على مستوى ثقافى وتاريخي وسياسي. فالكاتب جوسيب كاسيني هو دبلوماسي محترم، وعلى دراية عميقة بالتوتر السياسي بين العالمين، والكاتب وسيم دهمش مثقف على إلمام واسع بالثقافتين العربية والإيطالية، وهو ما جعل من الكتاب وثيقة رصينة وعميقة. وبوجه عام حاول المؤلفان اعتماد أسلوب الحكى السلس في عرض مؤلفهما، لكن ذلك الحكى كان مستنداً إلى جدل استبطنته النصوص، عماده الرواية التاريخية والأحداث المتنوعة، لأجل بلوغ تعريف أو توضيح مفهوم، منار إشكال في الذهنية الغربية.

وبما أن الكتاب يعالج بالأساس مسألة التصورات الغربية تجاه بعض القضايا العربية والإسلامية، فقد حاول مؤلفاه اعتماد مصادر غربية، مشفوعة أحياناً بمراجع عربية على صلة بالموضوع. المراجع العربية والفارسية



## ما بعد الجائحة: رؤية جوانب الحياة ما بعد «كوفيد 19» تأليف جماعي

فينان نبيل \*

تتطور خصائص كل جيل استجابة لما يجري في عالمه؛ فالحروب العالمية والكساد شكلت جيلا لديه تصميم ومثابرة، استغل فترات السلام النسبي ليصنع التطور والتقدم، ومازلنا نتعلم إلى الآن أن الحاجة الإنسانية لفهم الكوارث والتغلب عليها كانت دائما أحد أهم العوامل المحفزة للتغيير والتحسين الاجتماعيين. لم يعد هذا الوقت مناسباً للتخوف، لكنه وقت التفكير العقلاني، ومحاولة التنوير؛ فقد اتضح لنا أننا لا نملك سوى القليل من السيطرة على عالمنا؛ فما زلنا لا نستطيع إيجاد حلول لأهم مشكلاتنا، رغم التطور التكنولوجي، فقد استطاع أصغر المخلوقات فيروس «كوفيد 19» أن يعرض العالم بأسره للخطر.

النظافة الشخصية. لقد كانت البراغيث أحد أهم عوامل نشر العدوى لعشرات الملايين في الشرق الأوسط وأوروبا، وقليل ممن أصيبوا استطاعوا علاج أنفسهم، وبحلول عام ١٣٥١ كان الأسوأ قد انتهى. كان لهذا الطاعون أثر شديد وغير متوقع في التاريخ، وفقا لرأي المؤرخ «جيمس بورك» (١٣٤٧-١٣٥١). فبعد أن عاش الأوربيون كارثة بيولوجية، أصبح لهم الريادة في ذلك العصر، استفاد من بقي على قيد الحياة من ازدهارهم المفاجيء، واتجهوا لشراء سلع كمالية واحفظوا بالحياة، وظهر نمط جديد للحياة والملابس في جميع أنحاء أوروبا، وانغمس الأغنياء في تطوير الحرير بالذهب والفضة، وانتشر الصوف المخملي للطبقة الوسطى، وظهر رجل يجمع الأقمشة البالية، والعظام، وسمى برجل «العظام والخرق». كانت هذه الأقمشة تنقع في المياه لمدة يومين، وتدق بمطارق ثلاثية موصلة بمحرك اكتسب أهمية بالغة آنذاك يسمى «عجلة الماء» أو «الساقية»، ثم تشكل على شكل شبكة دقيقة تعصر تحت ضغط كبير، وتتكون من عدد من الطبقات المشابهة وتجفف، وكان ينتج عن ذلك نوع من الورق يسمى «اللباد». ظهرت الطباعة الآلية على يد «يوهان جوتنبرج» ١٤٥٢ في ماينز بألمانيا، وفي خلال عشرين عاما كان هناك المئات من الطابعات المتنقلة والمطابع في جميع أنحاء أوروبا، وشهدت الأرض التي دمرها الطاعون ارتفاعا وازدهارا لم يحدث لها من قبل، وانتشرت الكتب المطبوعة، وبدأ عصر النهضة الأوروبية، انتشر محو الأمية والمعرفة والعلوم، لقد فتح انتشار الكتب الطريق لأكبر فترات الفهم البشري وبدأ عصر الإصلاح والتنوير. لعبت الكوليرا أيضا دورا في التاريخ حتى أواخر القرن التاسع عشر، بعدما ظلت لغزا يسبب الموت، ولم يفهم أحد أن الفضلات البشرية هي التي تحمل بكتريا الكوليرا وتتسرب من المجاري إلى التربة، وتلوث شبكة المياه، ورفضت الأوساط الطبية في العصر الفيكتوري أن تعترف أن الميكروبات غير مرئية هي السبب في انتشار الوباء، بل أصرت أن الوباء يأتي من الأحياء الأكثر فقرا في لندن،

التلوث والاحتباس الحراري. افتقد الكثير من الناس الاتصال البشري، والتواجد في الأماكن العامة، رغم أن هذه الأشياء تبدو أكثر بساطة، ولكن جعلنا الوباء ندرك إنسانيتنا وضعفنا، وقد كنا نعتقد دائما أننا أقوى بما فيه الكفاية، أو في حماية بحيث أننا لن نمرض أو أن الموت بعيد عنا، أصبح لدى كل منا الوقت لتقييم نفسه، وأن يفكر في ابتكار نمط متغير لحياته، وأن نعيد التفكير في طرق المعيشة. أصبح احتواء التغيير أمرا ضروريا لتجاوز الأمر كما فعلنا مع أمور أسوأ.

تتلاشى حالة التدمير لدى الجميع إزاء عدم قدرتهم على الخروج ومشاهدة الرياضة أو الذهاب لممارستها عندما يشعرون أنهم بخير، في ظل الإصابات التي يسمعون عنها، ورؤيتهم لمن يعاني هو وعائلته، ومن هم عالقون خارج بلادهم ولا يستطيعون العودة. سيقدر الجميع تلك اللحظات عند العودة مرة أخرى للحياة التي اعتدنا عليها، وسنكون بشرا أفضل مما كنا عليه.

تؤدي الكوارث في كثير من الأحيان إلى خير عظيم، كما الحال مع كل سحابة قاتمة، هناك جانب مضيء، ففي حقبة زمنية معينة كانت هناك أمم مزدهرة بسبب التجارة والأعمال وتمتعت باقتصاد ديناميكي متحرك، ثم عمت فترة من الشتاء الطويل، والصيف الممطر، فبدأت المحاصيل تفشل، ويتقلص الطعام، وتضررت التجارة، مما أدى لارتفاع الأسعار، وانتشرت المجاعات، فصار الناس يشدون أحزمتهم بسبب قلة المال والطعام، وانتشر المرض خلال أيام دون أن يعرف أحد سبب هذا الموت الذي غزا كل بلدة وكل بيت في غضون أيام قليلة، حدث ذلك في عام ١٣٤٧ في أوروبا في العصور الوسطى، وعرفت هذه الجائحة «بالطاعون الدبلي»، كان الوباء الأشد فتكا وتدميرا في تاريخ البشرية، ولم يفهم أحد طرق انتقال العدوى، ففي ذلك الوقت كانت معظم البيوت تحتوى على بالوعات مفتوحة، والقنطط والفئران تتجول بحرية في الشوارع في مدن أوروبا في ظل انتشار أكوام من الفضلات، وغياب ثقافة

تتطور الحضارات تدريجيا لتتجاوز قدرتها الأساسية على البقاء، وتندفع عن غير قصد إلى نقطة أبعد من الاستدامة، فتصبح عرضة للانهايار، وكأن الطبيعة الأم تذكرنا أننا لسنا المتحكمين فيها، ويحكم كل إنسان على الأمر من وجهة نظره الخاصة، إذا كنت شخصا متدينا ربما تفكر أن الله يُعلم درسا آخر للإنسانية، وإذا كنت ذا عقلية علمية ستعتقد أن ما نعلمه عن الكون ليس إلا قطرة مقارنة بما يجب أن نعرفه، بينما صاحب التفكير الفلسفي يبحث عن تفسير عقلي عن كيفية التأقلم مع تلك الخبرة الإنسانية، ويجب أن نعلم أن كلنا على صواب في الطريقة التي نفكر بها، ويجب أن ننحي خلافاتنا جانبا لتحقيق مزيد من التقدم ونجاة مجتمعاتنا تعتمد على ذلك.

قدم مؤلفو هذا الكتاب رؤيتهم حول العالم ما بعد كورونا «كوفيد 19»، كما قدموا نصائح مخصصة في ضوء خبراتهم المتنوعة، ومعظمها رؤى تبث على التناؤل، واتفق جميعهم على أن العالم سيتغير بعد الجائحة.

ظل الوباء ينتشر في ظل خوف أن يزداد الأمر سوءا، فخيم الصمت على أمم صاخبة فجأة، وأغلقت الأماكن العامة، ولم يُسمح إلا للخدمات الأساسية، فلم تعد الأمور كما كانت، وبات علينا أن نعيد تدريب أنفسنا على كيفية غسل الأيدي، وأن يساعدنا الخوف من الجراثيم على الاهتمام بالأمر، فلقد قدم الصينيون في رسالتهم إلى الناس أمورا محددة للوقاية من الفيروس «اغسلوا أيديكم»، و«حافظوا على مسافة آمنة نظيفة»، وهذا أكثر أمر سيحدث فرقا في انتشار الفيروس والحد منه، بينما يناضل العلم من ناحية أخرى لإيجاد لقاح أو علاج. ظهر الفزع الإنساني في الاندفاع نحو الشراء لدرجة تفرغ رفوف المتاجر، كما لو كنا نتجه نحو حرب نووية أو كابوس كوني، فالخوف عاطفة إنسانية موجودة بالفعل حتى لو لم نعترف بوجوده، ويدفعنا أن نعيد التفكير فيما يجب أن نفعله.

أصبح العمل من المنزل الذي كان في الماضي حلما للكثير أمرا اعتياديا، وبوسعك أن ترى عائلتك أكثر، وتقلل نسبة



مستقبلية، فنحن نحارب في صحراء مجهولة، ولم يعد العديد من الأشياء في الحياة مستقرا كما كنا نظن، لقد أخذت الانسانية بأسرها على حين غرة وتم خداعها، ونحن لا نريد أن يحدث ذلك مرة أخرى. عندما تنقش الغمة سيتم اتخاذ تدابير من أجل التأهب للجائحة التالية، على المستوى الفردي، سيبدأ الناس الشراء بالجملة، وسيتم تخزين البضائع غير القابلة للتلف، أما فيما يخص المتاجر فمن المرجح أن يفرض القانون قيودا على عدد السلع التي يمكن شراؤها خلال فترة الأزمات الكوارث، وستتكيف الأعمال التجارية مع العالم الجديد، ويزيد العمل عن بعد، وستتضرر شبكة الانترنت لتعزيز قوتها حتى تتمكن أن تتواكب مع المتغيرات الجديدة خلال الأزمات بسبب النشاط الإضافي للإنترنت.

يمكن أن تتكفل المؤسسات التجارية بوضع مجموعة ادخارية كجزء من استحقاق الموظف لتغطية مرتبه، واحتياجاته الطبية إذا أُجبر على البقاء في المنزل وقت الكوارث لمواجهة الوباء، أو يكون هناك شكل من التأمين ضد الكوارث سيقوم بها أرباب العمل، سيكون الحفاظ على «التباعد الاجتماعي» أمرا مهما، وسيطبق انتظار خروج بعض العملاء لدخول غيرهم من المتاجر أو المطاعم. هذا ليس خيالا علميا وإنما هذا ما سيخبئه المستقبل، كما ستطالب الحكومات أن يتلقى المواطنون شريحة بيانات تحتوي على تاريخ التطعيمات الماضية والحديثة، ورغم أن الكاتب يرفض هذه الأداة إلا إنه قد يحدث في يوم من أيام؛ فالتناس على استعداد للتخلي عن حقوقهم وحررياتهم في سبيل الشعور بالأمان والرفاهة، سواء أكان حقيقيا أو متوهما. وإذا كنا نقول في الماضي إنه من المستحيل أن تحدث هذه الأمور، فإن ما رأيناها خلال تلك الجائحة سيجعلنا نتوقع كل الأمور. هناك العديد من المجالات الأخرى التي ستشهد تغييرا كبيرا، بما في ذلك التعليم، والصحة والترفيه والنقل، والتجمعات.

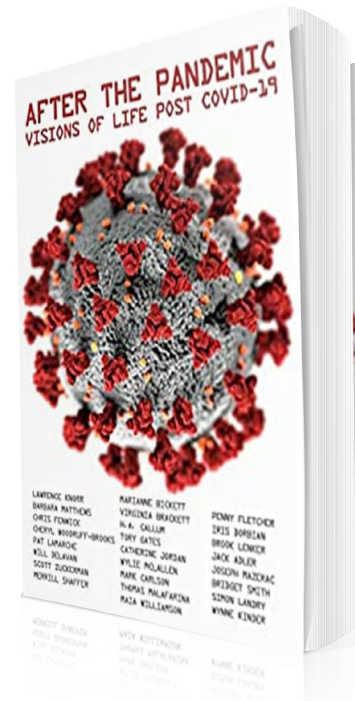
ومع استمرار هذه الحرب، فإن العالم بعد 2020 لن يكون شبيها بالعالم قبلها. إنها البداية، ويؤكد الكتاب أن العالم بعد جائحة كورونا لا يتجه للنهية بل يتجه إلى التغيير وهو أمر حتمي، ويجب أن تكون على حذر؛ فالمشاكل التي يواجهها عالمنا خطيرة، وكلما أسرعنا في التصرف كان الأمر أفضل.

• الكتاب: ما بعد الجائحة: رؤية جوانب الحياة ما بعد كوفيد 19.

• المؤلف: مجموعة من الباحثين.

• الناشر: صبراي بريس، الولايات المتحدة، بالإنجليزية، 2020م.

\* كاتبة وباحثة مصرية



بعض المناطق من نقص حاد في التمرريض، وأثبتت الدراسات أن «التباعد الاجتماعي» من أهم أسباب انحسار الوباء، ثم بدأ رفع القيود على التجمعات العامة بعد انخفاض معدل الوفيات، وظلت تلك الفكرة صحيحة بعد مرور قرن لمكافحة فيروس كورونا. لقد تأسس ما يسمى مفهوم «المباعدة الاجتماعية» وهو ما يعني أن تبقى بعيدا عن أي شخص ما لا يقل عن ستة أقدام، فنحن لم نعد نتصافح، في أي مناسبة ولو نادرة، يمكننا أن نغادر بيوتنا فقط لشراء الضرورات، ولكن نعود إلى البيت يملئنا الخوف، ويمكن لبعض الأشخاص السماح بالعمل والسفر إلى وظائفهم ولكن مع بذل قصارى الجهد لتجنب الاحتكاك بالآخرين. لقد بدأت الحرب العالمية الثالثة، لكن لأول مرة لا يحارب الإنسان إنساناً آخر. البلاد تحارب عدوا غير مرئي، كيف ستنتهي تلك الحرب؟ وكم عدد الأرواح التي ستزهق؟ ومن سينجو؟ وهل يتأهب العالم للوباء التالي؟ وهل هناك شك في جائحة قادمة؟ حيث لا علاج ولا لقاح ولا نهاية محددة، إن جائحة كورونا الحالية «كوفيد 19» هي آفة مميتة ومخيفة، لكننا هذه المرة نعرف المزيد عن الفيروسات وكيفية الحد من انتشارها. لقد أجبرت دول العالم سكانها على أن يكملوا الإغلاق الإجباري للمرة الأولى في التاريخ الحديث، في محاولة للحد من عدد القتلى، وأصبح شعار «ابق في مكانك» هي الأكثر شيوعا على مستوى العالم. اضطرت أغلب الشركات التجارية في العديد من البلاد إلى إغلاق أبوابها وطرد ملايين من العمالة، وهبطت سوق الأسهم المالية، الأمر الذي كلف المستثمرين تريليونات الدولارات، ولم يتضح بعد الأثر طويل الأجل على الاقتصاد، حتى مع تنفيذ الضوابط التحفيزية الحكومية المقترحة.

نتساءل: كيف سننجو من الأمر إن كانت هناك جائحات

وكانت سببا في دعم نظرية «مياسما» التي تسمى أيضا النظرية المياسمية، وهي نظرية طبية عفا عليها الزمن، نتجت عن «تقرير المحكمة اليونانية القديمة» وكانت تحمل مرسوما أن الأوبئة شكل من أشكال الهواء الفاسد، وقد كانت نظرية مقبولة في الأزمنة القديمة في أوروبا والصين. وفي النهاية، كشف العلماء عن نظرية أخرى حلت محلها 1880م هي «نظرية المرض الجرثومية»، وقد أعطت أولوية عليا لتنظيف المدن، حيث اكتشف «جون سنو» الذي عمل مع رجل دين يدعى «هنري وايتهد» أن شبكات المياه والمجاري في لندن هي السبب الجذري في الوباء، وأثبت أن ضخ المجاري يتسرب إلى المضخات العامة التي تستخدمها الأحياء الفقيرة، وعندما تم إغلاق مضخة الشارع العام، انخفضت وفيات الكوليرا إلى الصفر تقريبا، ومن ثم أشرف المهندس «جوزيف بازليت» على بناء شبكة مجاري فعالة في لندن، ومحطات معالجة المياه في باريس، كما ازدهر «علم الأحياء المجهرية»، وتطورت جهود «جوزيف لاستر» في الجراحات القديمة، وازدهرت الكثير من المؤسسات العلمية، وحصر عدد الوفيات من الأمراض المعدية، وكانت إنجلترا الفيكتورية هي أول من استخدم الإحصائيات والديموغرافيات لفهم وتعقب كيفية تطور المرض. شهد القرن التاسع عشر أول خطوة حقيقية في مجال الصحة العامة والصرف الصحي، مما أفاد البشرية وجعلها تزدهر وتنمو رغم الأزمات البيولوجية الرهيبة التي تعرضت لها. انتشر «فيروس الإنفلونزا» بعد انتهاء الحرب العالمية الكبرى في خريف 1918 في فترة قصيرة، وكان أكثر خطورة من الإنفلونزا المتعارف عليها في ذلك الوقت من السنة، واتضح أنه ناجم عن سلالة قاتلة من إنفلونزا الطيور، وسميت «بالإنفلونزا الإسبانية»؛ لأن إسبانيا كبلد محايد لم تفرض رقابة وقت الحرب على عكس دول الحلفاء ودول المحور المركزية. قضى هذا الوباء على ما لا يقل عن خمس سكان الأرض، واقترح العلماء العلاج على أنه بكتيريا، وحاولوا تطوير اللقاحات دون جدوى، وسرعان ما دارت الإنفلونزا الإسبانية حول العالم، ثم اكتسحت الجائحة أمريكا الشمالية وأوروبا وآسيا وإفريقيا والبرازيل وجنوب المحيط الهادي، وشعر معظم البشر بالآثار الفتاكة لهذا الفيروس التنفسي. ساعدت الحرب الكبرى في انتشار الفيروس سريعا من خلال انتقال الجيوش على متن السفن، وارتفعت معدلات الوفاة بصورة غير عادية بين البالغين الشباب الأصحاء. كانت أول موجة في مواقع عسكرية، ثم انتقلت العدوى إلى ما يقرب من 67هـ ألف جندي، وهم عشرة أضعاف من ماتوا في الحرب العالمية الأولى، واستنزفت مرافق المستشفيات لأقصى حد، وكان هناك نقص في الأطباء، وتم إنشاء «الصليب الأحمر» كلجنة وطنية معنية بتعبئة جميع القوى لمكافحة الإنفلونزا، وأنشئت مستشفيات الطوارئ في جميع البلدان، وعانت



## الكوكب الفارغ داريل بريكر وجون إبيستون

محمد السماك \*

حذر «نادي روما» منذ السبعينيات من القرن الماضي من أن الكرة الأرضية معرضة لخطر الانفجار السكاني. ونادي روما هو مؤسسة دولية معنية بمراقبة تطورات الحياة الإنسانية والمخاطر التي تواجهها، وتقديم المقترحات للمحافظة على سلامة الإنسان والبيئة والحياة على الكرة الأرضية. وقد لاحظ «النادي» في دراسة شهيرة له أنه مع تضخم عدد شعوب العالم نتيجة لتحسن الرعاية الصحية والغذائية، فإن القلق على مدى قدرة الكرة الأرضية على تحمّل أعباء وتبعات هذا التضخم يتضخم باستمرار.

وتشير الأرقام الأولية عن عام ٢٠١٩ أن النسبة تتراجع حتى ١,٧ طفل لكل امرأة. ويؤكد المؤلفان أن هذا الأمر لا يتوقف على الولايات المتحدة فقط، ولذلك فإن الأرقام التي تقدمها الأمم المتحدة هي أرقام خاطئة أيضاً بالنسبة للعديد من الدول الأخرى في العالم، بما في ذلك الصين والهند والبرازيل.

والنتيجة التي يؤكد عليها المؤلفان هي أن الأرقام التي تُقدّم باسم الأمم المتحدة لا يمكن الاعتماد عليها؛ فالمستقبل يحمل في طياته مخاطر أكبر كثيراً من تلك التي تشير إليها الأرقام الدولية. وعدد سكان العالم نتيجة لذلك سوف يكون أقل مما تقوله الأمم المتحدة، والفرق لن يكون بضعة ملايين .. بل ربما بضعة مليارات.

من هنا جاء عنوان الكتاب: «الكوكب الفارغ». فالصين مثلاً التي يتوقع أن يرتفع عدد سكانها إلى ١,٤٤ مليار إنسان في عام ٢٠٢٩، سوف تدخل بعد ذلك مرحلة الهبوط الذي لا تراجع عنه، كما تؤكد أكاديمية العلوم الاجتماعية الصينية ذاتها. ففي عام ٢٠٥٠ سيرتفع عدد الصينيين الذين تزيد أعمارهم عن ٦٥ عاماً إلى ٣٣٠ مليوناً. أي ما يعادل تقريباً عدد سكان الولايات المتحدة اليوم. وهذا يعتبر المشكلة الأولى والأزمة الكبرى التي قد تنفجر في وجه الصين الغدا!!

لقد كانت نسبة الولادات في الصين تبلغ ٨ بالمائة في عام ٢٠١٦، ولكنها هبطت إلى ٣,٥ بالمائة في العام التالي، وهي تواصل هبوطها حتى اليوم. وتؤكد ما ذهب إليه المؤلفان في هذا الكتاب، الأرقام التالية:

مرتفعة وبسرعة يعجز العلماء عن تفسير أسبابها؛ ففي البرازيل والصين مثلاً، فإن نسبة النساء اللاتي قررن عدم الإنجاب (وليس تقليله أو تأخيرها) ارتفعت بشكل مذهل.

ويؤكد المؤلفان في كتابهما أن نصف النساء في الصين قررن سلوك هذا الطريق !!

أما في اليابان وكوريا الجنوبية فإن المرأة هناك قررت تأخير الإنجاب إلى ما بعد بلوغها الثلاثينيات من العمر. ويؤكدان أيضاً أنه حتى لدى الأميركييات المتحدرات من أصول أميركية جنوبية، فإن نسبة الإنجاب لديهن تراجعت حتى عن نسبة الوفيات، وهو ما تواجهه الأميركييات المتحدرات من أصول أوروبية (بيضاء) أيضاً.

وفي الحسابات الأخيرة، يقول المؤلفان إن نسبة الولادات في العالم تتراجع، وإن هذا التراجع يتصاعد، بحيث يبدو وكأنه لا رجوع عنه .. من هنا السؤال: إلى أين؟ يحاول الكاتبان الإجابة على هذا السؤال من خلال إلقاء المزيد من الضوء على أسباب المشكلة الراهنة والتي تزداد تفاقماً مع الوقت. كما يحاولان إلقاء الضوء كذلك على المتسببين في وقوعها نتيجة للقرارات الخاطئة للنمو السكاني. ومن الذين يوجه الكاتبان الاتهام إليهم، دائرة الدراسات السكانية التابعة للأمم المتحدة. ويوضح الكاتبان ذلك بالقول: إن التقديرات الأخيرة التي وضعتها هذه الدائرة عن الولايات المتحدة الأميركية تقول إن نسبة الخصوبة (بين عامي ٢٠١٥ و ٢٠٢٠) هي ١,٩ طفل لدى كل امرأة أميركية. غير أن الحقيقة كما تبينها الوقائع والإحصاءات الرسمية هي أن النسبة لا تزيد على ١,٨ طفل لكل امرأة بين عام ٢٠١٥ و ٢٠١٨.

غير أن الصورة التي تقدمها الدراسات العلمية اليوم تشير إلى اتجاه عكسي لهذا التطور. فالخطر لم يعد من جراء تضخم العدد، ولكن مصدر الخطر هو «شيخوخة» المجتمعات، وتراجع نسبة الولادات. والأمران معاً، كما يشير الكتاب، يشكلان مصدر قلق إنسانية على المستقبل والمصير.

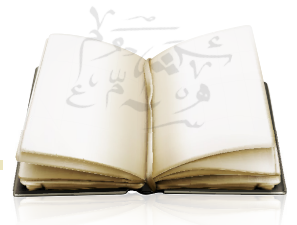
فقد حذر المؤلفان من أنه عندما تبدأ عملية تراجع عدد سكان الكرة الأرضية، والتي يقولان في دراستهما المعمقة أنها قد تبدأ بعد ثلاثة عقود من الآن، فإن هذه العملية لن تتوقف أبداً.

من هنا يشكل هذا الكتاب جرس إنذار. والإنذار ينطلق من القراءة الخاطئة لحالة أهل الأرض. فقد قضت هيئات علمية ومؤسسات حكومية وجمعيات أهلية، سنوات طويلة تدرس وتحذر من الانفجار السكاني. غير أن الأمر اليوم هو على العكس من ذلك تماماً، كما يؤكد المؤلفان؛ فالإنسانية تواجه خطر الانفجار السكاني.

ويبين المؤلفان مصدر الخطر بأن الشيخوخة المرتفعة في المجتمعات المتقدمة تعني تراجع نسبة اليد العاملة. وهذا بدوره يعني تراجع الإنتاج وتراجع النمو الاقتصادي، كما يعني تضخم ديون الدول وارتفاع نسبة التزاماتها لتغطية النفقات الاجتماعية. ثم إنه يعني اتساع هوة اللامساواة الاجتماعية وما يترتب عليها من انعكاسات سلبية ومن اضطرابات خطيرة.

ويستند المؤلفان في دراستهما المثيرة للقلق على أبحاث علمية أعلنت نتائجها في عدد من دول العالم في آسيا وأوروبا والأميركيتين. وتُجمع هذه الأبحاث على أن نسبة الخصوبة (الولادة) تتراجع بمعدلات





إلى الدول النامية. وتالياً حرمان الدول النامية التي سوف تعاني من الشيخوخة من اليد العاملة. وتشكل الصين ذاتها مثلاً واضحاً. فالصينيون هاجروا إلى الولايات المتحدة وكندا في القرن التاسع عشر. وهم الذين عملوا على مد السكك الحديدية التي ربطت شرق البلدين الكبيرين بغربيهما. وكانت هجرتهم لأسباب اقتصادية. أما الآن فإن الصين تحتاج إلى كل يد عاملة لديها. بل إنها قد تفتقر إلى هذه اليد العاملة في المستقبل غير البعيد. وقد افتقرت إليها اليابان اليوم التي قررت ربما لأول مرة في التاريخ فتح أبواب الهجرة رغم ما يشكله ذلك من خطر على نسيجها الاجتماعي الدقيق جداً.

وهنا يحذر الكاتبان من أنه إذا فعلت الولايات المتحدة ذلك أيضاً وعلى نطاق واسع «فإنها تخسر أسس العظمة التي قامت عليها»، والتي يرفع الرئيس الأميركي دونالد ترامب شعارها من جديد.

يبقى إقرار الحقيقة الهامة التالية، وهي أن تغطية النقص في عدد السكان المترتب عن انخفاض معدلات الولادة بفتح أبواب الهجرة، يحمل في طياته قنابل اجتماعية سريعة الانفجار. لا يبدو أن المجتمعات الدولية المختلفة مهياً لاستيعاب مثل هذا التغيير أو أنها قادرة على سحب فتائل التفجير. إن دول العالم تترنح الآن تحت ضربات التراجع في عدد السكان. وهي ضربات موجعة اقتصادياً واجتماعياً. ولكن عدم معالجتها، أو معالجتها بطريقة خاطئة سوف يوجه ضربات أشد وجعاً إلى هذه الدول وأكثر إيلاًماً.

• اسم الكتاب: الكوكب الفارغ

• اسم المؤلف: داريل بريكر Darrel Bricker

• وجون إيببستون John Ibbiston

• اسم الناشر: كراون Crown

• عدد الصفحات: 288

• اللغة: الإنجليزية

• تاريخ النشر: 2019

\* مفكر لبناني متخصص في دراسات العلوم والسياسة والفكر الإسلامي



بلغ عدد الولادات في الصين في العام الماضي (٢٠١٨)، ١٥،٢٣ مليون طفل مقارنة مع ١٧،٢٣ مليوناً في عام ٢٠١٧ و ١٧،٨٧ مليوناً في عام ٢٠١٦.

تبين هذه الأرقام كيف أن المشكلة السكانية في العالم ليست في التضخم ولكن في التقرّم. وحدها القارة الأفريقية - ومعها العالم العربي من المحيط إلى الخليج- تخرج عن هذا السياق. فالدراسات تشير إلى أن القارة السمراء ستبقى الخط الأمامي للدفاع عن نظرية زيادة عدد سكان الكرة الأرضية؛ ذلك أن آخر الدراسات تؤكد أن عدد الأفارقة سوف يصل في عام ٢٠١٩ إلى ٩ مليارات إنسان. أي أكثر من عدد سكان الكرة الأرضية اليوم بمليار ونصف المليار! ولعل هذا ما يفسر الهجرة الأفريقية المتصاعدة.

من هنا، يدعو المؤلفان في كتابهما العلمي الموثق إلى إعادة النظر في مقاربة القضية الديموغرافية العالمية من توصيف المشكلة على أنها مشكلة زيادة إلى حقيقة المشكلة على أنها نقص في عدد السكان، وبالتالي إعادة النظر في المقترحات لمعالجة المشكلة السكانية بما يتلاءم مع هذه الحقيقة.

ومن المقترحات التي كانت متداولة، العمل على مساعدة المجتمعات المتأخرة على النمو والتطور. وقد نجح تطبيق هذه المقترحات في العديد من دول العالم وخاصة في آسيا وحتى في بعض الدول الأفريقية. إلا أن هذا النجاح يعني من جهة أخرى الاستغناء عن هجرة شباب من هذه الدول الفقيرة

إن ٢٨ بالمائة فقط من اليابانيين سوف يشكلون اليد العاملة في عام ٢٠٥٠. وهذا يعني أن ٧٢ بالمائة من سكان اليابان سوف يكونون متقاعدین يعيشون على تعويضات نهاية الخدمة، والرعاية الصحية والاجتماعية، مما يشكل أعباء تعجز الدولة عن تحملها.

في عام ٢٠٣٠ فإن ٢٠ بالمائة من الأميركيين سيبلغون سن التقاعد. وهذه النسبة تزيد على نسبة الولادة. وهي ظاهرة سلبية لم يسبق لها مثيل في التاريخ الأميركي.

إن نسبة الإنجاب لدى المرأة الأميركية في الوقت الحاضر لا تتجاوز ١،٧ طفل. وهي في تراجع أيضاً. ولكن حتى يستقيم النمو السكاني، فإن نسبة الإنجاب يفترض أن ترتفع إلى ٢،١ طفل لكل امرأة. إلا أن ذلك يبدو مستحيلًا بموجب الوقائع الحالية. تشجيعاً لرفع نسبة الإنجاب، قررت روسيا تقديم حوافز مالية وتمديد الإجازات للمرأة الحامل. وكذلك فعلت سنغافورة حيث نسبة الإنجاب هناك تنخفض إلى ١،١٦ طفل لكل امرأة.

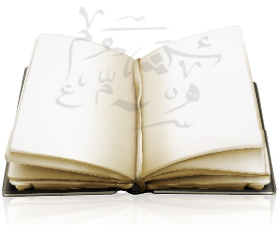
تتوقع الصين أن ترتفع فاتورة تعويضات نهاية الخدمة في عام ٢٠٢٠ إلى ١٣٠ مليار دولار. علماً بأن الدين العام في الوقت الحاضر يبلغ ثلاثة أضعاف الناتج المحلي.

إن سبعة من كل عشر نساء أمهات صينيات يعملن في المؤسسات والمصانع. وتساهم المرأة الصينية في ٤١ بالمائة من الإنتاج القومي، رغم أن نسبة النساء القادرات على الإنجاب انخفضت ٧ ملايين امرأة في عام ٢٠١٨، كما انخفضت نسبة الشابات منهن خمسة ملايين شابة في ذات الفترة.

انخفضت نسبة الإنجاب في كوريا الجنوبية إلى ٠،٩٥ طفل لكل امرأة في العام. وحتى يستقيم الوضع يفترض أن ترتفع النسبة إلى ٢،١ طفل لكل امرأة. إلا أن ذلك يبدو مستحيلًا.

يبلغ عدد سكان اليابان اليوم ١٢٧ مليوناً، ولكنه سوف ينخفض في عام ٢١٠٠ إلى ٨٣ مليوناً فقط نتيجة التفاوت بين الوفيات والإنجاب. وفي هذا العام سوف ترتفع نسبة اليابانيين الذين تزيد أعمارهم على ٦٥ عاماً إلى ثلث عدد السكان.

يبلغ عدد الأيدي المؤهلة للعمل في الصين ٩٠٠ مليون شخص ولكن عدد العاملين منهم وصل إلى ٧٨٠ مليوناً.



## رولان بارث فكر وحياة ماتيو ميساجير

سعيد بوكرامي \*

يُعتبر رولان بارث (1915-1980) شخصية مركزية في الفكر الفرنسي، والعالمي. أثر وتأثر بجميع التيارات الفكرية الرئيسية في القرن العشرين. وقد جعل من كتاباته وفكره صدىً خلافاً للفلسفة والسيميولوجيا والبنوية والنقد الثقافي، فقد كان قبل كل شيء مؤلفاً منفرداً، إذ عمل على ممارسة المعرفة وتوليد الأفكار. بعد أربعين عاماً من وفاته، يستمر حاضراً بقوة، لأنه لا ينتمي إلى الفكر الميت المُحنت بل إلى الفكر الحي والمتجدد الذي يراهن على المستقبل: ولأنه ينتمي إلى هذه الفئة النادرة من أولئك الذين يفهم فوكو بأنهم «مؤسسو الحضريات»، هؤلاء الكتاب الذين يعطون الكتابة والتفكير، بعداً فسيحاً في أعمالهم الفكرية، يرتبط بالصادر ويجادلها ويولد منها أفكاراً فريدة. ولهذا يقدم الكاتب ماتيو ميساجير في كتابه الجديد «رولان بارث» الصادر مؤخراً عن سلسلة كوسيج للقرء والباحثين المعاصرين في القرن الحادي والعشرين صورة مستعادة ومنقحة عن رولان بارث، بحيث نجدُه يُخاطب أعماله بشكل مباشر، واضعاً مفاهيمه في سياقها الثقافي وداخل تسلسلها الزمني، مع التركيز على ما يجعلها ضرورية اليوم.

في العام نفسه ضمن منشورات سوي، وبذلك تمكن من الإفصاح عن مشروعه الجنيني. وبعد إعارات متتالية للتدريس في المعهد الفرنسي في بوخارست والمعهد الفرنسي بالإسكندرية، بدأ رولان بارث أطروحة حول تقنيات التاريخ عند ميشليه. التقى ألجيرداس جوليان غريماس في مصر، وأقنعه بتحويل أطروحته إلى بحث معجمي، وهذا يعني في نظر بارث القيام بمزيد من الدقة والتدقيق «في علم الاجتماع من خلال اللغة وتتبع أيديولوجيتها في جوهر الكلمات» (ص 8). سيدافع بارث عن فكرة الالتزام من خلال الشكل في العديد من المقالات التي ينشرها.

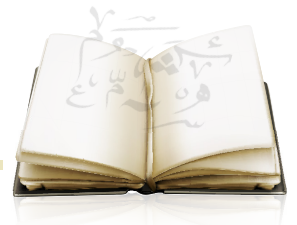
في غضون عشر سنوات، كتب رولان بارث أكثر من تسعين مقالة عن المسرح، يعتبرها ذات وظيفة مدنية، كما أنها تقدم تمثيلاً للحياة الاجتماعية. وهذا ما شجعه على الشروع في المغامرة السيميولوجية بين عامي 1960 و 1962 عندما عُيّن مديراً للدراسات في المدرسة العليا للدراسات التطبيقية التي عمل فيها على دراسة «علم اجتماع العلامات والرموز والتمثيلات». ثم انتقل إلى «أنظمة الدلالة المعاصرة (الملابس، الطعام، السكن)، وركز كذلك على البلاغة القديمة، وخطاب التاريخ، من خلال نص لبالزاق بعنوان سارازين (ص 11). وفي «وفاة المؤلف» المنشور في عام 1968، يفترض بارث أنه عندما يتم نشر نص ما، فإن وحدته تكمن في وجهته وليس في مصدره: «إن القارئ هو الذي يصنع معنى للنص، وليس مؤلفه» (ص 13). انتخب في كوليغ دو فرانس عام 1975 ليشغل كرسي «علم الأدب»، وعانى من ألم وفاته والدته بعد ذلك بعامين. في نهاية فبراير 1980، صدمته شاحنة

تعليمه اللامع في المدارس الثانوية الباريسية مونتيرن ثم لويس لوجران، على الرغم من هشاشة صحته بسبب إصابته بمرض السل. سيهتم بارث بالمسرح والسينما والأدب، خصوصاً بأعمال جان جوريس، «سيرسم خططاً لكتابة رواية» (ص 4). وبعد حصوله على درجة البكالوريوس، سترفضه المدرسة الثانوية لأسباب صحية، مما سيضيف «إلى الجرح الجسدي، الشعور بالإقصاء» (ص 4-5). تسجل رولان بارث على مضض في جامعة السوربون في سلك الإجازة بغية دراسة الأعمال الكلاسيكية، وهنا سيعرف «اكتشافاً عاطفياً للمسرح» (ص 5)، إذ أسس رفقة صديقه (جان في) مجموعة مسرح السوربون القديم التي تهدف إلى إعطاء تمثيلات صادقة للدكاء السياسي الحازم المتضمن في المسرحيات القديمة. لكن عشية الحرب العالمية الثانية استدعي للتجنيد، ولحسن حظه استبعد في الحين بسبب هشاشته الرئوية، فواصل رولان بارث قراءته ودراساته بالتناوب مع إقامته الطويلة في المصحات المُعالجة للأمراض الصدرية، في إيسير ثم في سويسرا. كان هذا الزمن الثابت والمسيج بالحضور السري لهاجس الموت وكذلك هذه «العزلة التي تحولت أيضاً إلى مكان لانبعث جديد، وواعد بأن يصبح: بارث حاضراً عن قرب يصغي ويختبر شكلاً من أشكال المجتمع المحدود الذي سيبقى بالنسبة إليه نموذجاً مثالياً للعلاقات الإنسانية. كما كانت إقامته المرضية فرصة أيضاً ليقراً كثيراً» (ص 6). في السابعة والثلاثين، سيفتح له لقاءه بموريس نادو أبواب صحيفة «كومبا» حيث سينشر في عام 1953 مقالة بعنوان «درجة الصفر في الكتابة»، والتي ستنتشر في كتاب

في هذا العمل المميز والمثير، يعرض أمامنا ماتيو ميساجير بطريقة مشهدية وسلسة مسار رولان بارث الفكري ومكانة شخصيته المركزية في الفكر الفرنسي في القرن العشرين. يقول ماتيو إن هذا الكاتب المتفرد جدير بأن يكون بطل رواية عظيمة، فقد عبر رولان بارث عصره من جانب إلى الجانب الآخر، متجاوزاً الموضوعات والتيارات والاتجاهات (من الماركسية إلى البنوية مروراً بالمغامرة السيميولوجية التي ساهم في تطورها). وبعد أربعين عاماً من وفاته، ونسيان متعمد لأفكاره بدعوى توقف مشروع بارث عن مواكبة العصر وأفكاره، أصبح مرة أخرى مرجعاً أساسياً للقراءة والكتابة والتفكير، بحيث عادت المجالات العلمية إلى الاحتفال به وتخصيص الندوات لمناقشة فكره وعلاقته بالحاضر. لهذا كان وما زال بارث ينتمي إلى أولئك المفكرين المتجددين عبر مختلف العصور.

في هذا الكتاب، يعيد ماتيو ميساجير النظر إلى شخصية «المفكر العظيم» واستعادته من خلال المنظور الزمني لعمله والتزاماته المعرفية والمقابلات التي بث فيها فكره ونشره ودمقرطه، لذلك تؤكد العناصر جميعها وحتى يومنا هذا، على أن رولان بارث، أنجز عملاً فكرياً متغير الشكل، ومتجدد الفكر.

تقتفي مقدمة الكتاب بشكل موسع حياة رولان بارث (أو بالأحرى حيواته المتعددة)، المحفوفة بالدراما المتتالية إثر فقدانه للأب في وقت مبكر، ثم أمه التي كان قريباً جداً منها. انتقل بارث من بايون إلى باريس، لهذا نشأ رولان بارث الصغير وفق إرادة والدته وتنقلاتها. بعد أن وافقت محكمة بايون للأيتام على أن تتكفل الدولة بتعليمه ورعايته، واصل



لرولان بارت يشكل أكثر بكثير من سيرة لمفكر كبير تجاوز عصره ولأنه مخصص أيضاً لدراسة الأنساق الفكرية والثقافية التي هيمنت طيلة عقدين بدءاً من الستينيات وصولاً إلى السبعينيات، حينما برز عمالقة حقيقيون أمثال ميشيل فوكو وجاك دريدا وجيرار جينيت وغيرهم ممن حضروا ونبشوا وشيدوا على الأنقاض فكراً جديداً في الدراسات الفلسفية والفكرية والأدبية، والتي سميت بالتيار الفكري الما بعد الحداثي. كما يعد الكتاب طريقة لإبراز الحضور الخلاق لرولان بارت كإنسان ومفكر جاء من الهامش واشتغل على الهامش ومع ذلك شغل الفكر العالمي بطريقة لا تصدق، ما تزال لغته النقدية تتدفق اليوم في شرايين العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية واهبة إياها دماء فكرية جديدة وحياتية معرفية خصبة تمتاز فيها الأفكار والمفاهيم. في الواقع يتيح لنا كتاب ماثيو ميساجير فرصة لاكتشاف بارت في كل أحواله وتجلياته. وكذلك لنسمع صوت رولان بارت المستعاد وطريقته الفريدة في فهم العالم وصياغة برنامج البحثي على النحو التالي: «لا توجد قوة، القليل من المعرفة، القليل من الحكمة، وأكبر قدر ممكن من الطعم» ويقصد بالتأكيد متعة الاكتشاف وتجاوز الاختلاف.

إن كتاب «رولان بارت» مصمم لأولئك الذين يريدون مقارنة موجزة لكل ما تعلموه بالفعل عن بارت، لهذا قد يجعل الكتاب القارئ الذي لا يعرف فكر بارت وأعماله يقضي ساعات داخل غرفة مظلمة؛ مما قد يحول القراءة إلى عملية معقدة وأكثر تعقيداً، لأن الخطاب الأكاديمي مساعد للجامعيين بينما هو عائق للقراء والناس البعيدين عن هذه البيئة. أعتقد أن الكتاب مناسب جداً للطلبة الجامعيين الذين يعدون أطاريحهم، ويرغبون في زرع مشاتل فكرية لتطوير مناهجهم ومقاربتهم لكل ما ينتجه فكر الإنسان.

• الكتاب: رولان بارت

• المؤلف: ماثيو ميساجير

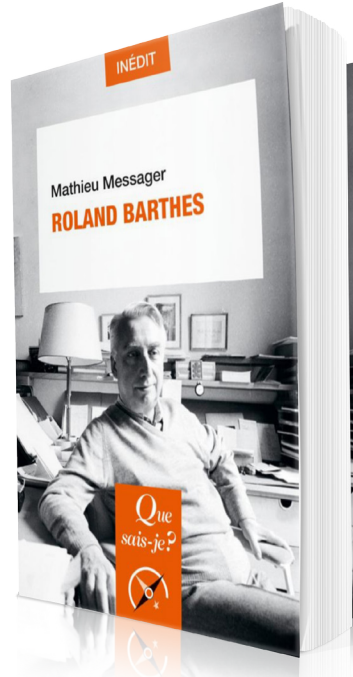
• الناشر: سلسلة كوسيج، باريس، فرنسا

• تاريخ النشر: 2019

• اللغة: اللغة الفرنسية

• عدد الصفحات: 228 ص

\* كاتب مغربي



تعكس تعدد واختلاف رولان بارت الذي أعطى دينامية وتطوراً جديداً للبحث الأكاديمي في مجال العلوم الإنسانية في السبعينيات في بلاده وفي أوروبا عامة وباقي الجامعات العالمية: يتجلى ذلك في رسمه لأهداف دراساته بدقة وتطور موغل في أراضي الذات، وجغرافيات الرحلة الإنسانية نجد ذلك في كتابه (إمبراطورية العلامات)، وفي النصوص الأدبية المستعادة أو المكتشفة مع كتابه (لذة النص)، وفي السيرة الذاتية مع (رولان بارت بقلم رولان بارت) وفي الجوانب العاطفية (شذرات من خطاب الحب). إذ تخلى بارت عن أعمال مكونة من المقالات وتبنى شاعرية الشذرة الأكثر ذاتية وحرية.

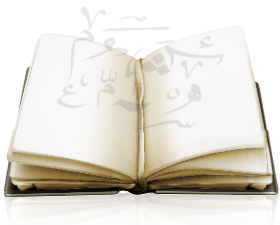
يبرز ماثيو ميساجير في الفصل الخامس والأخير بعنوان: «موت ألفية وحياته الجديدة» ببراعة كبيرة كيف توجت حياة ومسيرة رولان بارت الفكرية باختياره أستاذاً في كوليغ دو فرانس. كما تتساقط هذه الفترة تماماً مع الرغبة العميقة في ترك التعليم وتوديع الالتزام الجماعي والنضال الثقيل واستنكار أسطورة الكاتب. يشكل كتابه «الغرفة المضيئة»، الذي نُشر في عام ١٩٨٠، تابوتاً رائعاً وحساساً ورمزياً، قدمه هدية إلى والدته التي اختفت قبل بضع سنوات، بل أكثر من ذلك فهو يشكل الوصية السيمائية والفكرية لبارت نفسه، الذي توفي بالتحديد في هذا العام ١٩٨٠؛ لذلك فإن قبر الأم المتوفاة لا ينفصل عن النزول نحو الموت، وصوب جميع الأموات في تعددهم» (ص ١٢٢). في الختام، فإن كتاب ماثيو ميساجير المخصص

وهو في طريقه إلى كوليغ دي فرانس وبعد ذلك بقليل توفي في ٢٦ مارس ١٩٨٠.

في الفصل الثاني المكرس لـ «المغامرة السيميولوجية» (أخذ العنوان من كتاب لبارت نفسه)، يوضح ماثيو ميساجر بجلاء كيف أصبح تحليل العلامات في الحياة الاجتماعية مع رولان بارت، برنامجاً علمياً متكاملًا. وليس مجرد فرصة للتنديد بالأساطير البورجوازية الصغيرة. بالنسبة لبارت تعادل ممارسة السيميولوجيا تفكيك الخيال الجماعي المخفي في الأشياء الأكثر تهاة في حياتنا اليومية، والتي نستهلكها ببراءة في شكل سلع ثقافية. تعتبر «السيميولوجيا» في كتابه «أساطير» المنشور لدى سوي في عام ١٩٥٧ تتويجاً لتساؤلاته السيميولوجية عن الصورة في (أيقونية للأب بيبير) وحول الإعلان (السابونيد والمنظفات)، وحول الترفيه (سباق الدراجات الفرنسي)، وحول السينما (الرومان في السينما)، وحول التقرير الإخباري وكذلك حول عادات الطهي (ص ٣٣-٣٤)، اهتم بارت بالصورة بجميع أشكالها من حيث أنها انعكاس للمجتمع الفرنسي في الستينيات. ويعتبر كتاب (الأساطير) من أشهر الأعمال التي وضعت رولان بارت على رأس علوم السيميولوجية عالمياً. كما أنه يعد واضع أسس السيميائية التطبيقية. وفي كتابه (نظام الموضة) الذي نشر عام ١٩٦٧ من طرف سوي، تميز رولان بارت بحدس ذكي: إذ سرعان ما سيدرك أن «الموضة هي مجموعة من الشروط المشفرة بعناية، والتي تستمد من احتياطي محدود من العناصر التي تخون دائماً رؤية معينة للعالم والمجتمع» (ص ٤٤).

أما في الفصل الثالث، فسيبرز ماثيو ميساجير الوجه الآخر لرولان بارت الناقد الأدبي الذي أنجز أعمالاً فريدة وعديدة، خلال عشر سنوات من الكتابة المكثفة والنشاط التنظيري المكرس لدراسات عن راسين والنقد والحقيقة وغيرها، واضعاً أسساً ثورية لطريقة جديدة جذرياً لقراءة الأدب، أكثر حساسية لتحديات الشكل والبنية من الحقيقة المزعومة في الأدب و«المفترضة في المنجز» من خلال التأكيد على هذا الطابع المفتوح بلا حدود للتفسير، يعتزم بارت أن يعيد الأدب إلى إمكانيته في القول: إن ما يدافع عنه هو تعريف جذري لما وراء تاريخ النص الأدبي» (ص ٤٩).

وفي الفصل الرابع يشير مؤلف هذا الكتاب المحفز حقيقة على إعادة النظر في منجز رولان بارت السيميولوجي والنقدي ومقاربتة من زوايا متعددة



## أيضاً تاريخ آخر للفلسفة يورغن هابرماس

علي الرواحي \*

يطرح الفيلسوف الألماني يورغن هابرماس - والبالغ من العمر ٩٠ عاماً - في هذا العمل - والمُكوّن من جزئين، تاريخاً جديداً للفلسفة الغربية؛ لذلك نجد أن العنوان يبدأ بكلمة أيضاً، وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن هذا العمل إضافة إلى أعمال غربية، وغير غربية كذلك، تناقش، وتؤرخ لمسار الفلسفة الغربية، ومساراتها الضمنية، والصريحة على حد سواء؛ حيث ينتمي هذا العمل إلى ما يُعرف بعلم أنساب الفلسفة الغربية، المعني بشكل كبير بالأسماء، والشخصيات، والأفكار التي ساهمت في ظهور - ما أصبح يُعرف حسب هابرماس في أعمال سابقة - التفكير ما بعد الميتافيزيقي... ينقسم هذا العمل إلى قسمين؛ يتناول الجزء الأول السيناريوهات والأزمات المختلفة التي مرت بها الفلسفة، ولحظات الاضمحلال في القرن العشرين. كما يتطرق للوضع الديني في الوقت الحاضر، على اعتبار أنه يمثل العقل الموضوعي. في حين يتناول لاحقاً مسار التطور الغربي وادعاء العالمية بعد الفكر الميتافيزيقي. كما يتطرق بعد ذلك للاختراق المعرفي والاحتفاظ بالنواة المقدسة، وهو ما يُعرج لاحقاً على العلاقة بين الأسطورة والطقوس، ليوضح معنى المقدس، مروراً بكيفية تحول المحور الديني (كما سيتم توضيحه لاحقاً) إلى الوعي الديني، وصولاً إلى الحديث عن أخلاق التقديس وتفكيك التفكير الأسطوري.

تاريخ الفلسفة الغربية يسعى هابرماس لإعادة الحق الدائم في الفلسفة، انطلاقاً من كانط وطرح الأسئلة الكبيرة، والأساسية والتي تتمثل في: ما الذي يمكنني معرفته؟ ماذا عليّ أن أفعل؟ ماذا يمكنني أن أتمنى؟ وما هو الإنسان؟

من هنا، نجد أهمية ما أسماه هابرماس «المرجع الذاتي التاريخي» للفلسفة، والذي من خلاله تضمن وحدها «استقلالية حكمها» بشكل يسعى لإعادة بناء بدايات الفلسفة الغربية باعتبارها ميتافيزيقية، والتي تُعتبر مُعلقة إلى حد كبير بالرؤية الدينية. فمُنذ الأفلاطونية المسيحية في الإمبراطورية الرومانية، حُددت مهمة الفلسفة باعتبارها مُكملة لتطور العقائد الدينية، وذلك من حيث أنها (الفلسفة) تحتوي على خصائص جوهرية دينية.

وفي خضم ذلك، وبالرغم من خطابه الموجه تجاه «المجتمعات ما بعد العلمانية»، إلا أنه يميل تجاه المنظرين العلمانيين، وليس تجاه «المحافظين» في رؤية نحو عودة الدين في المجتمعات. لكنه، لا يشكك في أن الوعي الديني يحتوي على إمكانيات ذات صلة أخلاقية من المعنى ربما لم يتم استثمارها بشكل فلسفي بعد. وبالرغم من الادعاءات المستمرة بوجود «الحقيقة الكلية»، إلا أنه لا يجب على الفلاسفة استبعاد أن المضامين الدينية من الممكن أن نجد بها تقاليد دينية تدعم الحرية، والتضامن، والعدالة، وهو في ذلك يريد أن يُبقي باب الحوار بين الجانبين مفتوحاً.

فمنذ فترة هيوم، وبنتم، من جهة، وكانط، شلنغ، وهيغل من الجهة الأخرى، نجد أن التفكير ما بعد الميتافيزيقي أصبح أمام مسارين، حدداً النماذج التحليلية أو الأنساق الفكرية المتنافسة للخطاب الفلسفي حتى الوقت الحاضر؛ حيث يصر هابرماس على أن هذه الاختلافات لا يمكن فهمها بشكل كاف في ظل الانقسامات السياسية المعاصرة، غير أن المواءمة التي حدثت بين العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية كانت عالية جداً، وبحسب ألفاظ هيغل فإن هذا العقل الموضوعي أثر إلى حد كبير على مسار التفكير بشكل كامل، وموقعه، وهذا يعود من الجانب الآخر، بحسب هابرماس، إلى سهولة انتقال هذه النماذج التحليلية أو الفكرية من فلسفة الموضوع إلى فلسفة

المعاصرة، والضرمانية. غير أنه وقبل ذلك، يبدأ هابرماس هذا العمل بنقد تشخيصي حاد للمشتغلين بالفلسفة، وبشكل مواز لذلك للمشتغلين ببقية العلوم التي أصبحت الآن، متداخلة إلى مرحلة تبدو فاقدة للتخصصية، والاختلاف. حيث إن بعض الفلاسفة ينظرون لأنفسهم على أنهم «عمال» أو يقدمون خدمات مفاهيمية، وتحليلية، لعلوم مختلفة، كعلم الأعصاب، وعلوم الوعي، وذلك لما يرون من تنوع في المعارف العالمية التي يجب الاستفادة منها، غير أن هذه المسارات تطرح تحديات كثيرة على تشكيل العالم البشري.

لذلك، لا ينبغي على الفلاسفة أن يفقدوا بصيرتهم حول رؤية «الكلّي» التي يضعها هابرماس بين قوسين، في ظل الظروف والاتجاهات التي أصبحت لا مفر منها، حيث ينبغي المساهمة في التوضيح العقلاني لفهمنا لأنفسنا وللعالم، الذي يمثل صلة الوصل المهمة لهذا التخصص.

فمنذ الصفحات الأولى يزيل هابرماس الشك، أو اللبس، عن أن المقصود من هذا العمل يسعى لتقديم فهم كامل حول معنى ووظيفة الفلسفة في هذا العصر متداخلاً الاختصاصات، وشرح معنى نمو، وازدهار المعرفة العلمية بالنسبة للبشرية بشكل عام. فالفلسفة ستخون نفسها، وصحتها، إذا كشفت عن المرجعية الشاملة لتوجهاتنا، بحسب تعبير هابرماس، وهو في ذلك يلتقي مع كانط الفيلسوف الألماني الذي أشار إلى أن الفلسفة عليها تقوية الناس في «الاستخدام المستقل» لعقلهم، وتشجيعهم، بالمعنى الذي طرحته النظرية النقدية المبكرة لدى هوركايمر، وروبرت ماركوزه، وعلى وضع هذه النظريات قيد التطبيق. وهذا الدافع التنويري الفلسفي يتغذى على مبادرات تبدو غير واضحة حول استخدام الحرية الفردية المسؤولة والتي حاول الفلاسفة من كانط إلى ماركس فتحها والتي تُشكل الخيط المُشترك في هذا العمل. كما يسعى هابرماس من خلال هذا العمل الضخم إلى الاحتجاج، ورفض، الجانب التحليلي للفلسفة، الذي يعتبر مُلتزماً بالفاهيم والعمليات النظرية للعلوم الطبيعية، والاسمية، في حين أنه من خلال تتبع

مُتطرقاً بعد ذلك إلى الديانة اليهودية والتوحيد، وفيما بعد إلى التعاليم والممارسات البوذية، والكونفوشوسية والطاوية، مروراً بالفلاسفة الطبيعيين اليونانيين إلى سقراط، وإلى نظرية أفلاطون حول الأفكار. في الفصول اللاحقة من الجزء الأول، يدخل هابرماس إلى المسيحية الأصلية ويسوع والوعاظ، وكل هذه التفاصيل المختلفة، ليصل إلى اللقاء الذي حدث بين المسيحية والهلينية إبان الإمبراطورية الرومانية. وفي منتصف الفصل الأول يتحدث عن الكنيسة، والمجتمع، والدولة في أوروبا المسيحية، مروراً بالتحديات التي واجهت اللاهوت في القرن الثالث عشر، متطرقاً إلى إجابات الأكويني في هذا الصدد، كما يتحدث عن التمايز الوظيفي الذي حدث بين القانون والسياسة والذي أنتج شكلاً جديداً من الاندماج الاجتماعي، لينتقل في نهاية الجزء الأول إلى سلطة الدولة لدى ميكافيلي.

في حين يبدأ الفصل الثاني بمارتين لوتر، وكسره للعادات السائدة في تلك الفترة، وتحديد العادات الدينية، وتغييره لمسار اللاهوت بشكل كامل، بعد ذلك يرسم هابرماس ويحدد المسار اللاهوتي والاجتماعي والسياسي للعقل الحديث انطلاقاً من تفاعل التنمية العلمية مع آليات التاريخ الاجتماعي وهذا يأتي في سياق قانون العقل الحديث.

مهما يكن الأمر، فإنه ومن خلال عناوين قسمي الكتاب، يتضح أن هناك مزاجاً بين التاريخ الغربي العام والشامل من جهة، ولحظات الفلسفة الكبرى والمحورية في أوروبا، تلك اللحظات التي أسهمت ليس في ارتقاء العالم الغربي، بل وانعكس ذلك بشكل كبير وجوهري على بقية أنحاء المعمورة.

ويتتبع هابرماس بشكل تدريجي كيف انفصلت الفلسفة عن التفكير الديني في التاريخ الروماني والغربي، حيث أصبحت الفلسفة لاحقاً دنيوية، مهتمة بالقضايا والمسائل اليومية. كما أن هذا العمل يوضح بشكل تحليلي كبير، تاريخ، أو قصة انعكاس هذه التغيرات على مواضيع أصبحت حساسة، ومهمة مثل الحرية المسؤولة للتواصل المجتمعي بين الذوات. من جهة أخرى، يُظهر هذا العمل ماذا يعني ظهور، أو نمو المعرفة العلمية لنا نحن البشر، بما رافق ذلك من آثار مختلفة كظهور الحداثة



من التفكير يقود في الفترة الحالية، الزخم الكبير الذي تتمتع به هذه الأعمال.

ومن المواضيع المهمة التي استحوذت على الأعمال الأخيرة لهابرماس، ومنها هذا العمل، العلاقة بين الأسطورة والطقس، وذلك في سياق الحديث والتفكير في المعرفة والإيمان، وفي معنى المقدس أيضا، وعلاقته بالجذور المقدسة للفترة المحورية سابقة الذكر، حيث يرى بأن بين السرديات الأسطورية والطقوس علاقة وثيقة تربط بينهما، حتى وإن كانتا لم تقعا في نفس الفترة الزمنية تقريبا. فهذه السرديات زودتنا في البدء بمفاتيح لفهم هذه الطقوس، وبلغت معيارية خاصة لهذا الفهم تطورت مع مرور الزمن، ومع تعدد السياقات المختلفة التي يتم تأديتها فيه. كما أنها زودت المؤدين لها بعدد كبير من التصورات، والتعبير المختلفة في التعامل مع ظروف الحياة اليومية، مثل: أنماط الموسيقى، والرقص، والتعامل مع الكوارث الطبيعية، والمجاعات، والأوبئة، أو هجمات العدو. بالإضافة لذلك، تقوم هذه الطقوس بوظائف حيوية جدا، كتلبية الرغبة في المطر، أو بعث الأمل، وتجنب المجاعات، والحصول على صحة جيدة. مهما يكن الأمر، فإن هناك سؤالا حاسما في هذا السياق، يطرحه هابرماس، حول توازي تطور الطقوس مع الأساطير؟ إذا أخذنا في الحسبان التطورات اللغوية التي حدثت في التاريخ البشري، بما يرافق ذلك طرق التعبير، والكتابة وغيرها.

وفي النقطة الأخيرة المتعلقة بالعلاقة بين المعرفة والإيمان، ينطلق هابرماس من هيوم وكانط، وبشكل خاص بالتركيز على كانط، وتحديدا بعد محاضراته حول نفس الموضوع في عام ٢٠٠٧م، فهذا التاريخ يعني بكل بساطة تاريخ العقل، ومساره، أو ربما أحد مساراته. حيث تعود هذه التحولات التي طرأت على فلسفة الدين - حسب هابرماس وبعض المفكرين الثيولوجيين الألمان - إلى التأويل الفردي للوعي الذاتي المعاش، الذي يستبطنه المؤمن منذ فترات زمنية طويلة، مقارنة مع التحولات الجذرية التي تأتي عن طريق الفتوحات العلمية، وأثرها على الوعي الديني من جهة، والسلوكيات التي ما زالت متمسكة بالقناعات التي كونها الأفراد عبر رؤيتهم للعالم، دونما محاولة التكيف والانخراط في الواقع الجديد. وفي هذا السياق، لكي يحافظ العقل الديني على مرونته - يقول هابرماس - من الضروري أن يبقى مستعدا ليتعلم، وأن يفتح على بقية الظواهر المختلفة، وتأويلاتها الجديدة في العالم، وهذا ينطبق بشكل مواز أيضا على العقل العلمي الحديث، الذي من الضروري أن يتعلم من الفكر الديني أيضا، دون أن يتخلى عن استقلاليتته.

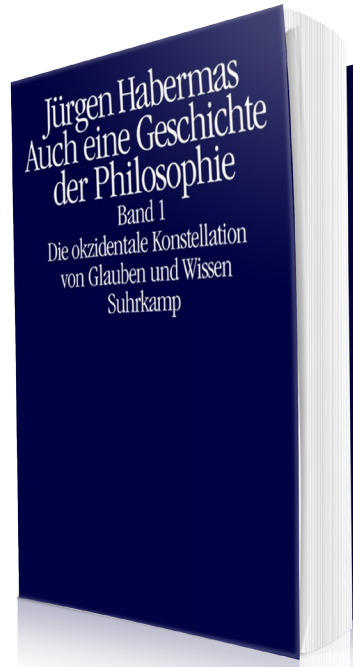
• الكتاب: «أيضا تاريخ آخر للفلسفة».

• المؤلف: يورغن هابرماس.

• الناشر: Suhrkamp، بالألمانية، 2019م.

• عدد الصفحات: 1700 صفحة (على جزئين).

\* كاتب عُمانى



الإيمان، والعقائد، والحمولة المعرفية الجوهرية التي تنعكس جراء ذلك على أنماط التأويل المختلفة في هذا السياق، بما فيها أثر ذلك على رؤية العالم، والإنسان على حد سواء. من جهة أخرى، يذهب في هذا العمل إلى ما وراء أطروحته السابقة، وذلك لتوسعة تلك الأطروحات، والمفاهيم، مثل: عقلنة الإيمان بالتحوار والتواصل مع الأسباب والجوانب العقلية.

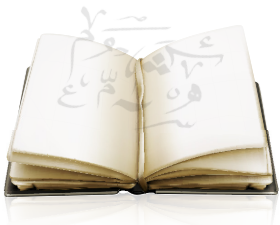
هذا الحوار بين الجانبين المهمين في الحياة البشرية، بقي لفترات زمنية طويلة، وبشكل خاص في مرحلة انتصار التنوير، مفقودا، وتشوبه الكثير من التوترات، والقلق، حيث تم إقصاء صوت الإيمان، والتصورات الدينية، من الفضاء العمومي الذي يعتبر هابرماس المنظر الأكبر له في الفترات الزمنية الماضية. لذلك نجد أنه توصل إلى مصطلح تأويلي، وواقعي حاسم في هذا الشأن، يصف من خلاله المجتمعات التي تجاوزت هذه القطيعة السلبية، والإقصائية، بين الدين والفضاء العام، إلى وصفها بالمجتمعات ما بعد العلمانية؛ حيث إن هذه العلاقة المتصالحة بينهما أدت لتعميق وجود مسارات متوازية في الدولة، وغير مؤثرة بشكل سلبي على المؤسسات التي ينبغي أن تبقى حيادية، وغير متحيزه. كما أن الحدائث - يضيف هابرماس في الكثير من أطروحاته المختلفة - عبارة عن منتج جاء نتيجة لزيادة العقلنة، وتعميق الاختلاف في الكثير من المناطق والمواضع الاجتماعية الضمنية، وغير الرئيسية، والتي أصبحت ملموسة، وواضحة للعيان في الوقت الحاضر، مثل: فصل الكنسية عن الدولة، والفرن عن الأخلاق. كما أن التلطف الزائد بالمقدس والحديث عنه يساهم في تفكيكه، وتخفيف حدة الأفكار الدينية والميتافيزيقية، حيث أنه في الفترة الأخيرة أصبح الدين حليفا مرحبا به في المجتمعات التي سيطرت عليها جوانب محددة، كالجانب الطبيعي، والتقني، أو أنماط العقلنة الاقتصادية وترشيد الإنفاق. فالتفكير ما بعد الميتافيزيقي لم يحارب الدين أو التصورات الدينية بقوة، ويعنف، بل وضع نفسه في إطار منتج مثل التصورات الميتافيزيقية. فهذا النوع

اللغة، وهو ما اتضح جليا في عمله الكبير والمؤسس «نظرية الفعل التواصلي».

يتَّسم هابرماس في هذا العمل مثل معظم أعماله بالحنزr الشديد؛ حيث ميز نفسه وبشكل مبكر جدا عن «المهندسين المعماريين لتاريخ الحدائث المتدهور»، أولئك الذين ظهروا في النصف الأول من القرن العشرين، مثل كارل شميدت، ليو شتراوس، هايدغر، وغيرهم، الذين لم يتبنوا المفهوم الحقيقي للفلسفة من خلال العودة إلى اليقين الميتافيزيقي لما قبل العصر الحديث. وعلى الرغم من أن طريقة التفكير العلمانية الجديدة قد ظهرت في الفلسفة الحديثة كأثر من آثار التعليم الجديدة، فإن العودة لكل هذه السياقات التفصيلية المختلفة يعتبر مهما جدا، لفهم هذا المسار المتبصر الذي يقضي بأن الفلسفة في طريقها لتوضيح الصورة الذاتية للمجتمع بشكل عقلاني، تساهم أيضا في اندماجها، وليس في عزلتها، أو انفصالها.

وبالعودة للزمن المحوري حسب تصنيف الفيلسوف الألماني كارل ياسبرز (١٨٨٣-١٩٦٩م)، في كتابه أصل الهدف التاريخي المنشور في عام ١٩٤٩م، فإن هذه الفترة كانت ما قبل الميلاد، والتي تأسست فيها العقائد الدينية، والرؤى الميتافيزيقية، والتي ما زالت مؤثرة، ومحورية حتى اليوم، مثل الزرادشتية في إيران، والكونفوشوسية والبوذية في الصين، والهندوسية في الهند، والميتافيزيقيا الوثنية في اليونان. حيث إنه - وحسب هابرماس وبعض النفود التاريخية - فإنه يجب الأخذ بالحسبان نقاط أساسية مترابطة، وهي: تأثير اللفظ المقدس، وهي تلك الفترة التي اتخذت فيها الأديان شكل تعاليم عقائدية، تشكلت على إثرها حضارات بأكملها، الأمر الذي يعني وجود وحدة للتفسير العالمي عن طريق طقوس معينة، نابعة من أساطير مختلفة، ما زالت لم يتم اختراقها أو لم يتم تحليل جوانبها بعد، حيث تواصلت هذه الأساطير من خلال التنفيذ الطقسي الجماعي لهذه المعتقدات من جهة، ومن خلال تأثير النصوص المقدسة من الجهة الأخرى، تلك التي تركت بصماتها في هذه الحضارات العريقة، والثرية. حيث يُعيد ياسبرز لتلك الفترة الممتدة من ٨٠٠ إلى ٣٠٠ قبل الميلاد، تشكل وجهات النظر الدينية العالمية، وظهور هذه الديانات، التي كانت في جانب من جوانبها ضد التعددية، كما هو الحال لدى الديانات الأوراسية التي ظهرت في تلك الفترة تقريبا. غير أنه مع ظهور العصر الحجري الحديث حسب الكثير من وجهات النظر التاريخية، والأنثروبولوجية المختلفة، فإن هناك الكثير من الطقوس، والاعتقادات التي تأثرت من الفترة السابقة، والتي واصلت استمراريتها في العصور اللاحقة. في حين أن هناك الكثير من الآثار المختلفة التي وجدت في فترات سابقة لذلك، كما هي الحال في أستراليا.

ومن الممكن القول، بطريقة أو بأخرى، بأن هذا العمل يعتبر خلاصة لعقود طويلة من الاشتغال الفلسفي وتحديدا لتاريخ ظهور مفهوم التفكير ما بعد الميتافيزيقي في أعماله الأخيرة من جهة، ومفهوم العقل العمومي كما صاغه الفيلسوف الألماني كانط منذ فترة طويلة من الجهة الأخرى. كما يعتبر من جهة أخرى مراجعة معقمة لما يمكن تسميته التأثير المتبادل بين الإيمان والمعرفة في الفترات الزمنية الطويلة سابقا، وهذا لا يمكن فهمه بشكل جيد دون الالتفات إلى التأثير اللغوي على



## كلمات من أجل الـ«نحن» الشاملة: نص صريح في مسألة المسلم لمحمد سمير مرتضى

رضوان زاوي \*

مجتمع متنوع للـ«نحن»

جاء الكتاب الجديد لمحمد سمير مرتضى بعنوان: «كلمات من أجل «نحن» شاملة: نص صريح في «مسألة المسلم»، واختار مرتضى لكتابه مفهوم الـ«نحن»، دلالة على الهوية المتعددة، وعلى المزيج الخلّاق من الدراسات الإسلامية والاجتماعية والثقافية المقارنة والتجربة اليومية، يعتمد عليها مرتضى لإبراز صوت المسلمين في ألمانيا. وقد يكون الكاتب قد استلهم قوة معارضته للصور النمطية والمسيئة للمسلمين واللجائين من تجربته الفريدة والمهمة؛ فهو ألماني يعيش بأصول وجدور مسلمة حافظ عليها ولم يتنكر لها بوصفه ألمانيا مسلماً. وهو من ضمن الألمان المسلمين الذين ساهموا كثيراً ويساهمون في تنمية هذه البلاد، باعتباره فاعلاً اجتماعياً ومنتقفاً مؤثراً مثل الألمان تماماً.

ويهدف الباحث في العلوم الإسلامية مرتضى لتعزيز هذه الفكرة من خلال مشروع بحثي مدته خمسة أعوام تقوم به مؤسسة «فيلت إتوس» التي أسسها عالم الدين الكاثوليكي هانز كونغ، ويهدف لنشر الفكرة بشكل أكبر في المجتمع الألماني بهدف التخلص من التوتر السياسي والاجتماعي الذي يهدد بتمزيق المجتمعات المسلمة في الوقت الراهن، سواء في ألمانيا وأوروبا أو في الدول الإسلامية. وقد تم تحرير هذا الكتاب استناداً إلى العديد من المقالات المنشورة، وغير المنشورة، في العقد الأخير، وأصل الفكرة مشروع كتاب مشترك مع الأستاذ مراد هوفمان، يحتوي على مساهمات ذات الصلة اجتماعياً. وقد تدارك المؤلف تعثر المشروع بسبب وفاة هوفمان سنة هذا الأمر بإدراج مقابلة مهمة معه تحدث فيها عن آرائه بخصوص وضعية المسلمين في أوروبا عامة، وفي ألمانيا خاصة، وقضايا الاندماج والعنصرية، والتطور الاجتماعي الذي ساهم فيه المسلمون في ألمانيا، وحول الإسلام والسياسة والحرية الدينية.

وتسعى هذه الدراسة إلى تشجيع الحوار البناء، من خلال تناول قضايا المساجد ومؤتمرات الإسلام ومساعي الاندماج، فضلاً عن الأحكام المسبقة تجاه الإسلام عند السياسيين الألمان التي برزت بوضوح بعد اعتداءات الحادي عشر من سبتمبر. علاوة على ذلك يشرح الكتاب كيف ولماذا يتولد عند المسلمين الأتراك انطلاقاً من الإقصاء الاجتماعي والاقتصادي الذي يعيشونه إحساس بالكراهية يعبر عنها في شكل ارتداء الرموز الدينية والقيام ببعض الأعمال الاستفزازية.

كما يثير هذا الكتاب من جديد قضية الجدل القائم في ألمانيا حول هويتها العلمانية وتقبلها للإسلام بوصفه جزءاً من المجتمع الألماني الذي يحاول المهاجرون الاندماج فيه، لكنهم يواجهون بعض الأصوات الرافضة. وكان وزير الداخلية الألماني هورست زيهوفر، قد أعلن أنّ «الإسلام لا ينتمي إلى ألمانيا»، بينما رفضت المستشارة ميركل هذه التصريحات بإعادة تأكيدها على أنّ الإسلام جزء من ألمانيا، مما ساهم في دعوة الكثير من الفاعلين السياسيين الألمان ورجال الدين المسيحيين إلى التسامح والتكافل والتعايش في مجتمع متماسك، ونبت مَعاداة السامية، وإعطاء فرصة للجائين والمهاجرين والمسلمين الألمان.

ويقدم لنا الكاتب آراءه وتجاربه المختلفة بخصوص قضايا الاندماج والعداء للمسلمين، فهو من أهم الأصوات في النقاشات الدائرة حول قضايا الهوية والإسلام، سياسياً وأديباً، واجتماعياً. وفي هذا الكتاب، يحكي المؤلف عن ألمانيا التي تعيش نقاشات ساخنة وهستيرية عن الإسلام، ويذكر في كتابه، بأن ألمانيا ظلت لفترة طويلة بلداً للمسلمين: يوجد اليوم ستة عشر مليوناً من الذين نُسِمَهم «الألمان الجدد»، وهم أشخاص من أصول أجنبية ومسلمة هاجروا إلى ألمانيا أو ألمان اعتنقوا الإسلام، والجميع يحمل جواز سفر ألماني. وربما من حسن الحظ أن ألمانيا العلمانية تتكون اليوم من مسيحيين ويهود ومسلمين وملحدين وغيرهم، لكن المؤلف يقول إنه من البديهي أن تثير لفظة الإسلام النقاشات، فقد كان للأجيال السابقة نقاشاتهم في المسيحية واليهودية أيضاً، مع اختلاف مهم اليوم، وهو وجود خمسة ملايين مواطن يعتقدون الإسلام في الجمهورية الاتحادية، يتقلدون مناصب في كل الوظائف الحيوية في ألمانيا، ويشاركون في النجاح الاقتصادي لألمانيا، فيجعلون من البلد أمة للمسلمين أيضاً، ففي ألمانيا لا توجد ولاية خالية من مسجد، وكل المواطنين المسلمين يقدمون خدمات للبلد ويحسون ألمانيا بخدمتهم في الجيش والشرطة والمطافئ، وعلى ألمانيا أن تقيم بوضوح، ما الذي حققه كل الألمان مجتمعين، من مسلمين ومسيحيين ويهود وملحدين، في هذا البلد منذ عقود.

ويحاول الباحث مرتضى أن يناقش معنى أن يكون المرء ألمانياً ووضعية ألمانيا المختلفة عن غيرها، وسبب التهيب ضد المسلمين، وكيف أنه من المفيد التفكير في مثل هذه المواضيع وطرح السؤال أيضاً عن الهوية. لهذا استعرض المؤلف في كتابه جوهر القانون الألماني الأساسي الذي جاء بعد معاناة كبيرة للألمان جراء حربين مدمرتين في 1918 و1945. ولهذا السبب مجتمع اليوم هو بلا شك أكثر تعددية، لكن يتم تهديده بالتشرد إلى مجتمعات فرعية ما لم يكن هناك خيط رابط يوحد حول قضاياها الراهنة. ويعتقد المؤلف أن نقطة انطلاق دستور ألمانيا هي تجربة الألمان المؤلفة مع الاشتراكية القومية، فقد سعى القانون الأساسي إلى عدم تكرار هذه الفظائع، فضم المجلس البرلماني الذي صاغ الدستور مسيحيين وملحدين



وأن اللوم يقع على كلا الجانبين. فعالية المسلمين في ألمانيا هم أتراك. ومعظمهم ما زالوا غير مستعدين للاندماج، وردود فعل المسلمين على هذه الحملات العدائية طبيعية: «أنت لا تريدني، حسناً، أنا لا أحبك أيضاً. تقول أنا مختلف، حسناً، أنا مختلف». ويثمن هوفمان عمل المساجد، فيقول إن الأئمة فقط هم القادرون على التغلب على خوف المسلمين.

أطروحات المؤلف في حرية الدين

يختتم المؤلف كتابه بإعداد مجموعة من التوصيات في موضوع حرية الدين، فيقول إن الحرية الدينية تشمل الحق في اعتناق الدين، والحق في التعبير عن المعتقد من خلال الملابس أو الرموز. ويجب أن تتضمن الحرية الدينية تقبل الدولة التعددية للطوائف الدينية، طالما أنها تستند إلى الدستور، وأن تعامل الدولة مع الأديان على قدم المساواة، ذلك أن الدولة التعددية تساعد جميع المواطنين في الحصول على المزيد من الحقوق والسلام والمزيد من الحرية، وأن المجتمع المتدين يعطي جهات فاعلة مدنية ملتزمة سياسياً بعالم إنساني وعادل.

وعلى عادة الباحث مرتضى في تقديمه لشهادات مفكرين متخصصين في القضايا التي يتناولها في مؤلفاته، وإضافة إلى شهادة الأستاذ مراد هوفمان، يذكر الباحث أن الصحفي هارالد مارتنتشتان قد تناول بذكاء النقاشات الحالية للإسلام في مقالة له في مجلة تساي، وكتب بأن مجموعة أشخاص تعيش في ألمانيا، تنتمي إليها، والجميع يساهم ويشكل بطريقة أو بأخرى الثقافة. كما يدعو الصحفي إلى تجنب العنصرية التي كانت من المحظورات في ألمانيا، وعلى المجتمع الألماني اتباع استراتيجية مختلفة من أجل مواجهة الماضي، وتلك الإستراتيجية تمثلت بشكل عام في مبدأ التعلم من أخطاء الماضي؛ في التعامل مع المسلمين. فألمانيا تعيش على أعتاب تحول كبير، ويجب أن ترسم الطريق الجيدة للمسلمين كي يتمكنوا من المساهمة الفعالة مع الألمان في بناء الدولة الديمقراطية. وكان الباحث الألماني المسلم من أصول إيرانية نافيد كرماني، قد تطرق في كتابه بعنوان «من نحن؟: ألمانيا ومسلموها» (٢٠٠٩) قد عرّف مفهوم «نحن» بأن يفهم المرء ثقافياً الجديد الذي يمكن للمواطنين بناؤه معاً، ويتعلق الأمر أيضاً بتشديد مجتمع متعدد الثقافات، يعترف بأن الإسلام عنصر من «نحن». وهو بهذا التعريف يتفق مع أطروحة مؤلف هذا الكتاب موضوع هذه المراجعة.

• الكتاب: كلمات من أجل مفهوم الـ«نحن»  
الشاملة: نص صريح في «مسألة المسلم».

• الكاتب: محمد سمير مرتضى

• دار النشر: تريديسيون، أبريل 2020 / 224

• صفحة.

• اللغة: الألمانية.

\* باحث في الدراسات الثقافية  
المقارنة - الرباط / المغرب



لا الكتاب المقدس ولا القرآن له أولوية في ألمانيا، بل الأولوية للقانون الأساسي الذي يقول إن ألمانيا تعيش في ديمقراطية علمانية تعترف بالثروة الأخلاقية للأديان عنصرًا لبناء الديمقراطية. والمسلمون جزء من هذا المجتمع فتكون المحاسبة ليس على المعتقد ولكن على المشاركة المشتركة في العمل ضمن مجتمع إنساني، فكل الألمان ملحدون ومسيحيون ويهود ومسلمون ينتمون إلى الـ «نحن» واحدة؛ «نحن» المسلمون جزء من هذا المجتمع، إنها نحن الاجتماعية التي ينتمي إليها جميع الألمان، والتنوع في ألمانيا يخلق توترا سلبيا فقط عندما لا تكون قد شيدت ثقافة متنوعة بناءً ولكن حيث يحدث ذلك فإن المجتمع يتم إثراؤه بدوافع وحوافز جديدة تزيد من تعزيز وتوحيد الديمقراطية في ألمانيا. ولكن لأن النقاش لا يتراوح حدود الأنتم والنحن، على الألمان كمواطنين التعامل مع المشاكل الحقيقية في هذا البلد؛ فالتظلمات في مجتمع ألمانيا تشكل تحدياً للجميع: سواء للبيض أو للسود سواء أكان أصلياً أم ذا خلفية مهاجرة، سواء مسيحياً أم مسلماً أم ملحداً أم يهودياً.

محادثة بناءة عن الإسلام: مراد فلزفيد هوفمان

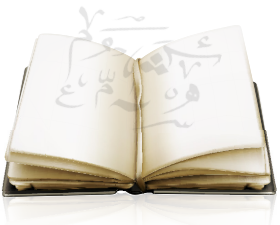
كان مراد فيلزيه هوفمان (١٩٣١ - ٢٠٢٠) دبلوماسياً وكتابياً ألمانياً. اعتنق هوفمان الإسلام عام ١٩٨٠. وقام بتأليف العديد من الكتب عن الإسلام، وهو أحد الموقعين في «مبادرة كلمة سواء»، الرسالة المفتوحة لعلماء المسلمين للقادة المسيحيين، تدعو إلى السلام والتفاهم. يذكر الأستاذ هوفمان أن من أسباب تحوله إلى الإسلام ولعه بالفض الإسلامي، ويعلق هوفمان على إثارة الكاتب للقضايا الراهنة في ألمانيا بأن الألمان قد شهدوا في السنوات الأخيرة موجة رفض للمسلمين، وتم إنشاء منتديات على الإنترنت لتعزيز التحريض ضد المسلمين. يمكن للمرء أن يقول إن القوالب النمطية المعادية للسامية قد انتقلت بشكل متزايد إلى المسلمين، وأن العنصرية المعادية للمسلمين لا تحدث على هامش المجتمع، ولكنها تنتشر اليوم في وسط المجتمع ككل. ويرى هوفمان أن الأسباب معقدة جداً،

أن صورة الإسلام الخيالية هي صورة للثقافة المعادية للغرب، وهذا يعني أن عمل وإنجازات الفلاسفة والعلماء المسلمين قد تمّ قبرها في شريعة التعليم الغربية: وإذ لم يكن هذا ممكناً، فقد لجأ الغرب إلى تبديل الأسماء الإسلامية والعربية للعلماء والمفكرين والفلاسفة وجعلها لاتينية؛ فمن يدخل اليوم إلى صيدلية باسم Avicenna لن يعرف أبداً أن وراء هذا الاسم الفيلسوف والطبيب العربي المسلم ابن سينا، الذي تدين له أوروبا بصنع الدواء والأقراص وكانت قراءة قانونه الطبي عملاً إجبارياً في التكوين الطبي الأوروبي حتى القرن السابع عشر. كما أن هناك فرضية تقول إن النهضة والشكل المبكر للتنوير الأوروبي قد بدأ مباشرة بواسطة الفلسفة الإسلامية وغير مباشرة بواسطة المؤسسات التعليمية الإسلامية في أوروبا. ويفضل الفيلسوف الفارابي وضع المسلمون العلم فوق اللاهوت ومهدوا الطريق للتنوير المبكر في العالم الإسلامي، وتم تدريس فلسفة ابن رشد في الجامعات الأوروبية في باريس وأوكسفورد وأصبحت أفكاره من الأطروحات المركزية للتنوير الأوروبي. فكيف لا يمكن أن يعتقد الأوروبيون أن تعريف كانط للتنوير إنما هو صدى لتنوير الغزالي بالنظر إلى ما قدمه الغزالي في كتابه «مدخل السلوك»؟ وقد اعتبر الألمان الحضارة الإسلامية الأكثر تقدماً وثراءً، والأكثر تغلغلاً في الثقافة الأوروبية في العصور الوسطى، وقد وُجدت نقوش قرآنية في الكنائس، حسب المتخصصة في الإسلاميات آني ماري شميل، وحتى رسالة كانط الجامعية بدأت بالسلمة. وبينما تذكر شميل الآثار العميقة للفلسفة الإسلامية في التاريخ الأوروبي، لا بد أن ننتبه إلى أن الهدف فيما بعد هو الحفاظ على أدوات تساعد الأوروبيين في دراسة العدو، دون التخلي عن تماثله بوصفه عدواً، في حين وحدت الصورة العدائية للإسلام المثقفين الجدد في الغرب، فتتكرروا لإنجازات المفكرين المسلمين، واعتبروهم مجرد ناقلين للتراث اليوناني في أحسن الأحوال.

«نحن» المتنوعة

يتمر المسلمون اليوم بفترات عصيبة، إذ لا تريد الاعترافات على المساجد أن تنتهي، رغم ذلك ألمانيا اليوم هي بلد الناس المختلفين. للأسف في ألمانيا يطالب الكثيرون بهيمنة ثقافة مسيحية رائدة على أي هوية يهودية أو إسلامية، بدلا من حرية تنوع سبل الحياة وبدلا من الثقافة العلمانية في القانون الأساسي، ذلك أن اختزال الناس في انتمائهم الديني الذي لم يعلنوا حتى عنه بعد أو إذا ما كانوا فعلا متدينين يختبر حقيقة مثلنا في الحرية وتقرير المصير. وقد سعى الجيل الثاني من المسلمين إلى مستقبل أفضل له ولأطفاله من خلال التقدم الاجتماعي من خلال التعليم.

ويقدم الباحث تعريفاً للاندماج على النحو التالي: الاندماج يعني تجديد الذات من خلال قيام الشخص باستيعاب شيء جديد. وهو إذن شيء يتم التفاوض عليه على قدر المساواة من قبل الطرفين على أساس ما لا جدال فيه: القانون الأساسي. إن عمليات الحوار لم تكن يوماً خالية من الصراع، والمواطنون المسلمون هم مواطنو ألمانيا، وطالما يتحدث الحوار السياسي عن المسلمين سيبقى المسلمون هم الآخرين، ويجب الانتباه إلى أنه



## أشجار سدرة المنتهى في حدود باكستان رشيد الدين

فيرا بوراتو عبد الكبير \*

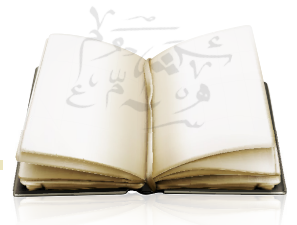
هناك عدد كبير من الكتب تتناول موضوع تقسيم الهند؛ مثل: «الهند تنقسم» India Divided لرئيس الهند الأسبق راجيندرا براساد، و«القطار إلى باكستان» Train to Pakistan للكاتب الصحفي المشهور خوشواند سينج، و«باكستان وتقسيم الهند» Pakistan or Partition of India لأمبيدكار باني الدستور الهندي، و«بانجاب الدامية The Blodied Panjab لاشتياق أحمد، و«استقلال في منتصف الليل» Freedom at Midnight لدومانيك لابير، و«جناح والهند والتقسيم» Jinnah, India and Partition لجاسوانت سينج القيادي المنشق من الحزب الحاكم الحالي في الهند بي.جيه.بي. وثمة أيضا روايات وقصص تدور حول آلام تقسيم الهند وكوارثه الجسيمة؛ مثل: «نهر النار» لقرة العين حيدر، و«توبا تيك سينج» لسعادة حسين ماندهو، و«أولاد ولدوا في منتصف الليل» Midnight Children لسلمان رشدي. ولكن الكتاب الذي نقوم بعرضه هنا يتميز عن هذه الكتب جميعا بنكهته الخاص. وهو ليس بكتاب يخوض تفاصيل تاريخ تقسيم البلاد، ولا بكتاب يتسم بتحليل أكاديمي لما جرى في الأيام الخوالي بعد انسحاب بريطانيا من بلد تعتبره ذرة تاجها. بل هو رحلة، ولكن لونها ليس لون رحلة ترفيهية، بل لها لون تحقيقات صحفية تتسرب إلى الزوايا الخفية في أروقة السياسة الباكستانية والكشميرية، تحمل في طياتها معلومات مفيدة جمة، لا تتوافر عادة في مكان آخر بالنسبة لقارئ هندي؛ لأن باكستان دولة بعيدة رغم قربها بالنسبة للمواطنين الهنود.

بالخوف. وكانت الشوارع تلتهب بمتظاهرين ينتمون إلى حزب بينظير، حزب الشعب، في مختلف المناطق ويعبرون عن غضبهم بالتكسير والحرق والاعتداء على الأملاك العامة، ولم يتجرأ أحد للتوجه إلى مدينة «لاركهانا»، منطقة إقامة أسرة بوتو. المراسلون الذين وصلوا من دلهي مكثوا في لاهور أو إسلام آباد وحاولوا جمع الأخبار من الصحفيين المحليين في باكستان ومن مكاتب الإعلام العامة الحكومية. أما رشيد الدين، فلم يكتف باعتماد المصادر الثانوية هذه، بل حسم أمره للتوجه إلى كراتشي بمساعدة معارفه في باكستان، ورأى أن مدينة كراتشي لا تختلف عن أي مكان متوتر في الهند، وأن الخوف من باكستان هو السبب الأساسي الذي يمنع رفقائه من الذهاب إليها. «إما أنت مجنون أو أنك سفيه»؛ كان هذا هو تجاوب أصدقائه الصحفيين الهنود حين عرفوا قراره للذهاب إلى كراتشي. نزل في كراتشي وتعامل مع الجمهور بكشف هويته كصحفي من الهند. وبما أن السفر في النهار إلى «نوريدا» في «لاركهانا» حيث يوجد «بيت بوتو» اختار باص الليل من كراتشي إلى سوکار، ومنها إلى «نودورا». التقى مع غنوة بوتو اللبنانية الأصل، أرملة مرتضى شقيق بينظير، وابنتها فاطمة بوتو الصحفية. وكان جل همه اكتشاف العناصر الخفية وراء مؤامرة اغتيال بينظير، ليلقي الضوء تفصيلا على المشاجرات داخل أسرة بوتو، لأن مرتضى كان أيضا قد قتل من قبل، وابنته فاطمة تتهم في كتابها «أغاني الدم والسيوف» Songs of

ما يسرع إلى مسرح الحدث حتى في منتصف الليل ولو كان المكان غريبا. يقتحم عمق الغابات الكثيفة في ولاية تشاتيسجر حيث يختفي الماوييون المسلحون، وذلك لإجراء مقابلة مع قائدهم، حاول سائق سيارة الأجرة التي ركبها أن يمنعه من تلك المغامرة ولكن لم ينسحب. حين كان يعمل مراسلا في عاصمة الهند لصحيفة «مادهيامام» الصادرة في كيرالا كانت القنوات الرئيسية في كيرالا تبت تقاريره الصحفية التي تغطي أخبار الانتخابات العامة؛ لأن تقاريره كانت دقيقة متزنة وذات لون تنبؤي تصدقها في أحيان كثيرة نتائج الانتخابات. وقد سبق له أن زار كشمير المحتل لتغطية أخبار الزلزال وانتهز تلك الفرصة لإجراء لقاءات مع «الإرهابيين» الذين يتدربون في معسكرات باكستان ضد الهند نقرأ تفاصيلها في هذا الكتاب. وبعد هذا، وخلال فترة عمله في الجريدة المذكورة، حين اغتيلت بينظير بوتو، وصلته رسالة هاتفية من رئيس التحرير لحجز تذكرة في أول طيران يتجه إلى باكستان. فقبل التأكد من توافر التأشيرة من السفارة الباكستانية حجز التذكرة. ذلك اليوم لم يكن معه من المرافقين في السفر إلى باكستان إلا إعلاميين اثنين فقط، وكانت أحدهما «برقة دات» من قناة ان.دي.تي.في. أما الصحفيون الآخرون، فبالرغم من توافر التأشيرة لم يتمكنوا من السفر في تلك الطائرة لعدم توافر التذكرة. كانت مدينة كراتشي تحترق تلك الأيام، وكان العنف سيد الموقف وولاية السند كاملة مخيمة

وقد تجاوزت قارة الهند أكثر من سبعين سنة بعد تقسيمها إلى الهند وباكستان، ولكن الجروح التي أصابت قلوب الشعبين الهندي والباكستاني لم تضمحل حتى الآن. المسافة من دلهي إلى لاهور عبر الطائرة بضع دقائق فقط؛ إذ تقع بمسافة ٤٢٦ كيلومترا. هما دولتان تشتركان في التشابه الجغرافي واللغوي والثقافي. اللغات الأردوية والبنجابية والسندية هي من اللغات الرانجة تتحدث بها عامة الناس في كلا الدولتين. وفي باكستان توجد أماكن مقدسة لدى الشيخ يحجون إليها كل سنة. ولكن العلاقات الثنائية بينهما للأسف دائمة التوتر. بعيدا عن هذه التوتر على السطح الحكومي، ينسخ الكاتب مشاعر الحب والحفاوة السخية التي أسرتة خلال رحلته في لاهور ومظفر آباد وبيشافار وكراشي، كما يسلط الضوء على التطورات السياسية داخل باكستان. ومن هذه الحثية، فإنها ليست رحلة نزهة عادية لزيارة أماكن سياحية، ولكن رحلة سياسية تعبر عن حالات تمر بها باكستان. مؤلف الكتاب رشيد الدين إعلامي مرهف الحس، ومعروف بتحليلاته للشؤون السياسية وتقاريره الصحفية وبثه المباشر عبر القنوات من نقاط ساخنة. لا يتردد في أن يغامر بخطوات جريئة إلى مناطق خطيرة للحصول على حقائق خلف كواليس الأخبار. لا يعتمد على مصادر ثانوية في جمع الأخبار، بل يفضل توفيرها من المصادر الأصلية. نجد لذلك شواهد عديدة في هذا الكتاب. إذا شم خبرا في مكان





متى ما يُمنح عطاؤه على أحد، كما يكتب رشيد الدين نفسه في هذا الكتاب. ما كانت الاشتراكية لهم إلا هتافات جوفاء. ورأسمال سياستهم مهارتهم في استصغار عقول الشعب الذي يعاني من الشح الذهني، الظاهرة التي توجد عموماً في العالم الثالث. وحكاية أسرة بوتو إنما هي مأساة كاملة ساد على فضاءها التشاجر والتنازع حول السلطة.

مرتضى ابن بوتو الأكبر كان يعتقد أنه هو الوريث الحقيقي لبوتو المقتول، وبعد إعدام بوتو غادر باكستان وتنقل في عدد من الدول بما فيها ليبيا وشكل خلية سرية تسمى «ذو الفقار» لقلب الحكومة الباكستانية، وكان مقر الخلية أفغانستان التي احتلتها الجيوش السوفياتية. تحت مظلة الخلية، قام بعدد من العمليات الإرهابية؛ يأتي في مقدمتها اختطاف طائرة باكستانية. ولما رجع إلى باكستان بعد أن عادت أوضاعها إلى حالتها الطبيعية، كان فراغ بوتو الأب في حزب الشعب قد سدته بينظير، وأحكم القبضة عليه زوجها سرداري من وراء الكواليس، ومن هنا بدأ التنازع حول كرسي السلطة بين مرتضى وسرداري؛ مما أدى أخيراً إلى اغتيال الأول تحت خطة للشرطة، عمل وراها الثاني كما يُعتقد على نطاق واسع.

ولم يكن مصير شقيق بينظير الثاني شاه نواز أيضاً مختلفاً عن هذا؛ حيث أُغتيل أيضاً في إحدى ضواحي باريس في ظروف غامضة. كانت له زوجة ثانية تزوجها في أفغانستان مما أدى لمشاكل مع والدته وزوجته الأولى. حين يقوم الكاتب بتقييم سياسة أسرة بوتو يغض نظره عن هذه الحقائق، إلا أنه لا يقلل من أهمية هذا الكتاب ووزنه في دراسة الشؤون الباكستانية، خاصة عند ندرة كتب مثله في اللغة المالايالامية، وهو بلا شك مرجع موثوق وغني بمعلومات نادرة ومتميز بأسلوب ساحر وآسر.

• الكتاب: أشجار سدره المنتهى في حدود باكستان.

• المؤلف: رشيد الدين.

• الناشر: تيروفاناتابورام، Chintha Publishers, 2019، بلغة مالايالام.

• عدد الصفحات: 304 صفحات.

\* مستعرب هندي



جفاف. ولو كان بوتو قد اعترف بنتائج الانتخابات العامة التي جرت في ديسمبر ١٩٧٠، وسمح لحزب مجيب الرحمن -الذي حصل على الأغلبية المطلقة من دوائر الاقتراع- بتشكيل الحكومة لما كانت باكستان انقسمت ولا بنجلاديش قد أتت في حيز الوجود.

وكذلك.. إنه من الحقائق المعروفة أن نصر الله بابر وزير الداخلية في حكومة بينظير كان من المؤيدين لطالبان أفغانستان، كما أشار إليه روبرت كابلان مراسل أطلانتا، ومن الدول المقدمة التي اعترفت بحكومة طالبان في البداية باكستان والإمارات المتحدة، وما اصطفت باكستان ضد طالبان إلا بعد أن شنت الولايات المتحدة الهجوم على أفغانستان للقبض على بن لادن. يقول رشيد الدين إن إعدام بوتو تم بشهادة الزور من قبل العسكر، ولكن القضية كانت قضية خاصة سياسية رفعتها إلى المحكمة عائلة كاسوري في اغتيال أحد أقاربهم، يعتقدون فيه دورا لبوتو وحزبه، ولم تكن الحكومة العسكرية طرفاً فيها، ولم تكن المحاكمة كذلك في محكمة عسكرية بل كانت في محكمة مدنية. لا دخل فيها لضياء الحق ولا لجيشه. ثم إلى أي حد كان بوتو وأسرته ملتزمين بالديمقراطية؟ أي ديمقراطية توجد في الحكم الوراثي؟ كان بوتو الأب أكبر إقطاعي في لاركهانا، زوج ابنته بينظير لسرداري ابن برجوازي معروف في باكستان، سرداري الذي اشتهر بلقب «سيد عشر في المائة»، لأنه كان له حصة ١٠٪ من كل مشروع حكومي

Blood and Sward أن آصف علي سرداري هو الذي لعب وراء المؤامرة مع معرفة زوجته عن ذلك. وهنا ينسخ ما كتب الصحفي البريطاني ويليام دارليمبيل عن اغتيال مرتضى الذي يتهم بشكل واضح مشاركة شرطة بينظير حاكمة باكستان آنذاك. إلا أن بينظير قد نفت ذلك متسائلة أن أسرة بوتو ماذا تستفيد من اغتيال أحد أعضائها؟! وكان مرتضى في المنفى بعد إعدام والده، وسرداري الذي يتحكم قبضته على السلطة من وراء بينظير لم ير طبعاً عودة مرتضى إلى ساحة السياسة بعين الرضا، بل رآه تهديداً واضحاً أمام مستقبل بينظير السياسي وبالتالي لمصالحه الذاتية. هكذا عملت الأيدي الخفية وتم اغتيال مرتضى عند عودته إلى البيت في منتصف الليل بعد حملته الانتخابية.

أيًا كانت الحقيقة، أصبحت قضية اغتيال مرتضى مبهمة دون الكشف عن عناصرها الخلفية، وكان مصير بينظير أيضاً نفس مصير شقيقه. لم تشر تحقيقات الأمم المتحدة إلا إلى الخلل الأمني، وكانت هناك محاولة لاغتيالها فور أن وصلت باكستان من منفاها الخارجي، وأندك كان بيت الله محسود، قائد حركة طالبان يملأ صفحات الجرائد متهماً أمام أعين الجمهور، غير أن الحلقات المقربة من بينظير رفضت تلك التهمة من أساسها. أما بيت الله محسود فقد صرح عبر رسالة أرسلها عبرهااتف متحرك أن بينظير بمثابة أخت له، فلن يقتل التي تلقى منها دعماً كبيراً، وتبعه بيان تعزية من المولوي عمر، ناطق حركة طالبان المولوي عمر تعزية شارك فيها حزن أسرة بوتو. وحركة طالبان مهما كانت متطرفة فمن الحقيقة المعروفة أن قتل النساء والولدان ليس من سجاياتها.

ويعتقد الكاتب أنه قد تكون عدة عناصر ذات مصالح خاصة فيمن شارك في اغتيال بينظير، ويشك أيضاً في دور سرداري في هذه الجريمة البشعة. صحيح أنه قد استغل سلطة زوجته في أسوأ صورة، ولكن أن يتهم أنه سيذهب إلى هذا الحد ليس إلا ضرباً من الخيال. يطلع وجه الكاتب بين السطور متعاطفاً مع ابنة الشرق هذه، ربما لأنها من الجنس الناعم، وكذلك يرى والدها ذوالفقار علي بوتو حاكماً معتدلاً إلى حد ما في تاريخ سياسة باكستان بالنسبة إلى الحكام الآخرين. وفي هذا التقييم شيء من المبالغة وكيل



## سوق الفن في القرن الحادي والعشرين: مساحة الفن التجريبية.. أنا أروتيونوفا

فيكتوريا زاريتوفسكايا \*

لقد أمسى مصطلح «سوق الفن» مألوفاً جداً لأي شخص يهتم بالفن ولو من باب الفضول، ولم يعد بحاجة إلى تفسير وتبسيط. مع ذلك، وبعد كل شيء، تظل التصورات حول سوق الفن واحدة من المجالات التي تثير الخلاف حولها، سواء بين الأشخاص المنخرطين فيه بشكل مباشر، أو أولئك الذين يتأملونه من الخارج. لذلك تظل الكتب والمنشورات، ككتاب أنا أروتيونوفا الجديد، الذي يُساعد على فهم كيفية تطور سوق الفن، وما يتضمنه من مواقف فلسفية وأخلاقية، تظل مُتطلبة، وفي صلب أولويات المتلقي صاحب الشأن والاهتمام.

الفني إلى بطاقة في اليانصيب الثقافى، ولا يفهم مشتري بطاقة اليانصيب ما الذي يمتلكه بين يديه حقاً إلا حينما يفوز. فنحن نعرف أسماء كل هؤلاء الفنانين الذين تباع أعمالهم اليوم بالملايين، لكننا لا نفهم لماذا تصل إلى تلك الأسعار الباذخة» (ص: ١٨). يهدف جزء كبير من الكتاب إلى إظهار الفوارق بين سوق الفن، والسوق بالمعنى المتعارف عليه، وذلك من وجهة نظر اقتصادية وأخلاقية. فبالنسبة لغير المتخصصين يبدو أن الشيء نفسه يحدث في سوق الفن: هنا أيضاً يتم تبادل الأموال مقابل سلع معينة. ومع ذلك، فإن تفاصيل هذا «المنتج» بالذات تحول سوق الفن إلى هيكل مختلف تماماً، ولا يخضع للقوانين الاقتصادية العادية.

لا شك أن كل هذه الميزات في سوق الفن تجعله موضوع اهتمام في فروع المعرفة الأخرى. كما تشكل ديناميكيات أسعار أعمال الفنانين المعاصرين أساساً للدراسات التحليلية المهنية للشركات المالية، وأصبح السلوك التجاري للفنانين موضوعاً للبحث من قبل الاقتصاديين وعلماء الرياضيات، كما يشكل الخط الفاصل بين السعر والقيمة تربة خصبة للنقاش النفساني والثقافى والفلسفي.

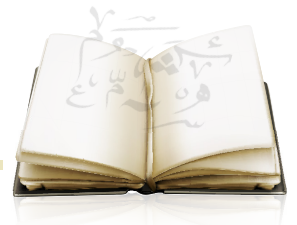
وفقاً لمنطق الباحثة فإن تفسير جاذبية أعمال الفنانين المعاصرين لا يكمن فقط في حقيقة أن معظم الأعمال الفنية الجيدة للبارعين القدامى أو الانطباعيين بل وحتى العديد من فنانى العقود الأولى لما بعد الحرب العالمية الثانية، قد تفرقت منذ فترة طويلة على المتاحف، فأصبح من الصعب طرحها في السوق، أو أن تكلفتها باهظة للغاية بحيث لا يستطيع سوى القليلين الحصول على مجموعة

هيرست، التي وضعت في حاوية من الميثانال، والتي بدأ بها الفنان سلسلة أعماله مع الحيوانات فقد بيعت بمبلغ ١٢ مليون دولار. وتعلق المؤلفة على هذا السياق الجنوني في سوق الفن فتقول: «باختصار، أصبح هناك منافسون جدد لبيكاسو وفان خوخ في حلبة المزادات العالمية. إنهم معاصرون الذين يواصلون العمل. ولكننا نصاب بحيرة حقيقية حين نتذكر الفقر الذي انتهى به فان خوخ والعديد من الفنانين الآخرين الذين لم تتح لهم الفرصة لتجربة النجاح التجاري في الحياة».

علاوة على هذا، تؤكد الباحثة على أن مفهوم تاريخ الفن، بالشكل الذي أفضاه في القرن العشرين، قد تم تشويبه بسبب تكريس أولوية النجاح التجاري. وليس من قبيل الصدفة أن يكرر جوزيف كوسوت، أبرز مفكري الفن التصوري الغربي، مراراً وتكراراً أنه التجأ إلى أشكال فنية جديدة في الستينيات، لأن اللوحة الفنية أضحت متورطة بشكل لا رجعة فيه في علاقات الأموال السلعية، وقد شاهد بأعينه كيف تتهاوى الأفكار الفنية الكبرى لدى الفنان وتتحول إلى زخرفة وديكور لبيوت هواة الفن من الأثرياء، أي إلى شيء مادي تم اختزال معناه إلى حد كبير واختصار قيمته إلى مجرد سلعة لجني الأرباح. يقول جوزيف كوسوت كما تنقل عنه أورتيونوفا في كتابها: «تاريخ الفن هو تلك القصة التي قام بها أشخاص أثروا في تطور الفن، وهو جزء من تاريخ الأفكار. أما تاريخ الفن الجديد فله رأي مختلف تماماً عن القيمة، ولا يستند في أحكامه إلى الفكرة الكامنة وراء العمل، ولكن إلى سعره المادي، فتظهر لنا صورة قاتمة إلى حد ما لعالم الفن الحديث، حيث يستحيل العمل

يتناول هذا الكتاب التغييرات التي حدثت في سوق الفن الغربي منذ بداية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، ولكن ليس باعتباره آلية لبيع الأعمال الفنية، وإنما كمجال يتصادم فيه الاقتصاد بالفلسفة والفن وعلم الاجتماع. غير ذلك فلا مفر من الاعتراف بأن سوق الفن ظاهرة تغري التجار الذين يفكرون في الربح، ويقومون بتحديد سعر القطع الفنية، ويرسخون العلاقة بين عالم الفن وعالم المال، كما يستحكم هذا السوق بألباب جامعي التحف الفنية، ويشعل رغبتهم في شراء أعمال الفنانين، كما ويدفع بالفنانين إلى اختراع طرق بديلة للتفاعل مع السوق، وهذا ما بدأنا نلاحظه في العقود الأخيرة.

تسلط الباحثة أورتيونوفا الضوء على المستجدات التي طرأت على سوق الفن منذ بداية الألفية الثانية. فتذكر أن هذا السوق عرف قفزة نوعية في زيادة غير مسبوقه في حجم تداولاته من الأعمال الفنية. فخلال الفترة المشار إليها، بلغت نسبة نمو حجم السوق ما يقارب من ١٥٪ سنوياً. وتشدد المؤلفة على اتجاهين في الفن تصفهما بالغريبيين من حيث استحوذهما على حصة الأسد في سوق الفن، الأول ظهر في الفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، والثاني ما يُنتج في المرحلة الراهنة. وقد شهد عامي ٢٠٠٧ و ٢٠٠٨ ارتفاعاً كبيراً في حصة مبيعات أعمال الانطباعيين الذين ينتمون إلى الفترة الأولى، والحدائين المنتمين للفترة الراهنة. فهناك مثلاً تمثال جيف كونز "Balloon Dog" الذي بيع في صالة المزاد العالمية Christie's في نيويورك مقابل ٥٨,٤ مليون دولار. أما سمكة القرش لداميان



معه حول ما يرتديه، وأين يقضي أوقات فراغه واصطيافه. فيصبح الفنان نفسه، وليس عمله، موضوع نقاش. وفي الوقت نفسه، تصبح الوسائل التي ينشئ بها الفنان عمله أقل قيمة في مقابل شخصية المؤلف نفسه التي تغطي على فنه.

وتضع المؤلفة في الفصلين المعنويين بـ «الفن والمال» و«أعداء إلى الأبد» نُصب أعيننا ما يشبه مسرحية يقف فيها الفن بصفته استثماراً، بمواجهة الفن باعتباره وسيلة لمقاومة الاستغلال التجاري. وفي سياق هذه المواجهة الضروس تبحت المؤلفة عن إجابة عن سؤال فحواه: لماذا يصعب تحديد سعر واقعي للفن ووضع المعادل النقدي المعقول للعمل؟ فترى أن الحل مرتبط بشكل لا لبس فيه بمجال علم النفس، كما ويتصل بالتربية الأخلاقية حيث الجشع رذيلة، وبالتعاليم الدينية حيث يكون خطيئة. وليس من قبيل المصادفة أن تغدو الأوراق النقدية موضوعاً أثيراً لدى أحد رواد الاتجاه الدادائي والسوريالي في الفن التشكيلي، مارسيل دوشامب، فكأنه بذلك يسلم ضوءاً مبكراً على الطريق الذي سيسلكه الفن والمصير الذي ينتظره، كما أنها رسالة للفنانين للتمرد على هذا الوضع الذي يبخس الفن قدره ويُعلي من شأن الربح المادي.

في الختام فإن تقصي الكاتبة والباحثة الروسية أنا أروتيونوفا يفتح أمام القارئ صفحة غنية بالتحليل النظري، والحقائق الوثائقية، وتفتح عينه على صناعة الفن في يومنا الراهن. وإن كان ثمة مثلبة تؤخذ على الكتاب، فغياب الجانب البصري، حيث قلل خلوه من صور للوحات الفنية محل البحث تفاعل القارئ مع الموضوع... تفاعلاً كاملاً، مختلف الأبعاد.

• الكتاب: سوق الفن في القرن الحادي

والعشرين... مساحة الفن التجريبية.

• المؤلف: أنا أروتيونوفا.

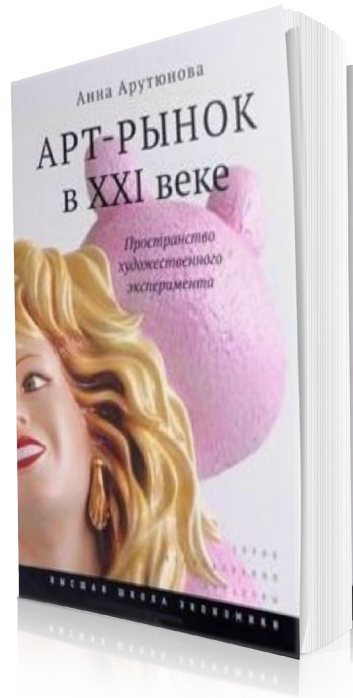
• الناشر: المدرسة العليا للاقتصاد -

موسكو/2020

• اللغة: الروسية.

• عدد الصفحات: 232 صفحة.

\* أكاديمية ومستعربة روسية



للتكامل فيما بينها، هو في أحسن الأحوال تكهنات رومانسية للغاية، وفي أسوأ الأحوال مجرد أساطير وترهات. تستشهد الكاتبة بنتيجة دراسة أجراها الخبير الاقتصادي آلان كيومان (ص ٨٦-٨٧) التي تشير إلى أن الهيكل الأساسي لسوق الفن لم يتغير في السنوات الأخيرة، سواء من الناحية الكمية أو النوعية. وقد أظهرت دراسته أن المبيعات العالمية تركزت على أربعة بلدان فقط وذلك بمعدل ٨٧٪ وهي الولايات المتحدة (٣٠٪) والمملكة المتحدة (١٩٪) وفرنسا (٥٪) والصين التي تمثل ٣٣٪ من المبيعات العالمية. الـ ١٣٪ المتبقية هي حصة بقية العالم. تقول الباحثة: «لقد قلب ظهور الصين في هذه المجموعة موازين التوقعات للقوة الشرائية للأعمال الفنية العالمية، ومنذ تربع الصين على عرش سوق الفن عام ٢٠٠٧ لم تغادره حتى يوم الناس هذا» (ص ٨٧).

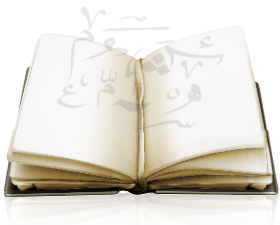
وفي الفصل المعنون «عرض البزنس» توضح المؤلفة كيف تحول الفن إلى صناعة تستعير بعض الحيل من مجال الأعمال الترفيهية. في هذا الفصل تضع أنا أروتيونوفا الفن في سياق اجتماعي ثقافي، فتقارب بين سوق اللوحات الفنية وبين أسابيح الموضة في باريس وميلانو. كما تعرض أعمال الفنانين أنفسهم في بيوت الأزياء، ومشاركتهم في وضع الخطط لمواسم الموضة. في بعض الأحيان يجد الفنانون أنفسهم في بيوت نجوم البوب، حيث ينمّون ثقافة أندية المشجعين من حولهم. اليوم يمكن رؤية الفنان بشكل متزايد على صفحات مجلات الموضة، حيث يدور الحديث

كاملة منها. إن جاذبية الفن المعاصر تكمن في مكان آخر، فالمشتررون في الوقت الراهن أصغر سناً بكثير من سابقهم، وهم أناس يتبعون نهجاً مختلفاً تماماً في الحصول على المعلومات والمعارف الحياتية. لقد تحول اهتمامهم من فنون الماضي إلى الحاضر، وانصب تركيزهم على الفنانين الذين يعملون هنا والآن، وبهذا النهج يستطيعون تلمس ذواتهم كشخصيات نشطة في العالم الحديث، ناهيك عن أن إمكانية التواصل الشخصي والمباشر مع الفنانين أمر مثير للاهتمام والفضول، إلى جانب التمتع بفرصة أن يكونوا مكتشفين في عالم الفن حينما يقدمون للعالم اسماً فنياً جديداً، ثم يتفرغون بعدها للمضاربة بأعماله.

إن هذا النوع من العلاقة بين المشتري والفنان، يؤثر على الطرفين. فيتلبس المشتري، مدعوماً بأمواله الطائلة، دور المسيطر على سوق الفن والمتحكم بتوجهاته، كما ينفعل الفنان الذي يعمل في هكذا سوق، ويتأثر بمواجهة الضخمة؛ ثم لا بد بعد هذا وأن تتأثر نظرتنا النقدية إلى العمل الفني، وتتموه القيمة الجمالية للوحة بقيمتها المالية، ويصبح كل ما هو غالي الثمن جميلاً بالضرورة.

ثمة ميزة أخرى مهمة لسوق الفن الحديث وهي المسيرة المظفرة للإنترنت والتكنولوجيات الرقمية، ومع أنها ظاهرة حديثة نسبياً، إلا أنها تتطور بوتيرة متسارعة. فوفقاً لاقتصاديات الفن، التي وردت في الكتاب، بلغ حجم مبيعات الأعمال الفنية عبر الإنترنت ٢,٥ مليار يورو. ويتوقع خبراء أنه في عام ٢٠٢٠ قد تتجاوز تعاملات سوق الفنون على الإنترنت ١٠ مليارات يورو. وتلاحظ الباحثة أن سوق «أون لاين» ينمو ويكرس معادلة آلية بيع أي عمل فني بآلية بيع غلاية إلكترونية أو مكنسة كهربائية. وتدعي أسواق الفن على الإنترنت مثل Amazon Fine Art أن اللوحة الفنية منتج عادي، وبالتالي ينتهكون إحدى القواعد غير المكتوبة والقائلة بأن الفن لا يتساوى بالسلع العادية.

في فصل الكتاب المعنون «حول العولمة» تؤكد الباحثة أن مسألة العولمة الثقافية ستبقى شأناً مفتوحاً على التكهانات والتحويلات. وتعتبر المؤلفة عن وجهة نظر مفادها أن العولمة في هذا المجال لا تمتاز مطلقاً بكثافة التبادل، وأن الخصائص المنسوبة إليها، مثل الانفتاح على الثقافات بين بلدان العالم والاستعداد



## رحلة الإنسانية أوري كاتز وأوديد جالور

أميرة سامي \*

لم تتغير الأنماط التطورية للجنس البشري في معظم تاريخ البشرية بشكل كبير على مر السنين وكانت الفجوات في مستوى معيشة البشر الذين يعيشون في أجزاء مختلفة من العالم ضئيلة. لكن هذه الأنماط تغيرت بشكل كبير في القرون الأخيرة. على المستوى التاريخي، يبدو أن الجنس البشري قد شهد تحسناً كبيراً وغير مسبوق بين عشية وضحاها في نوعية حياته. ويختلف مستوى معيشة الإنسان البشري اليوم بشكل جذري عن مستوى معيشة أسلافه. ويرافق ارتفاع مستوى المعيشة تغير آخر فريد للإنسان وهو ظهور فجوات كبيرة في ثروة المجتمعات البشرية. في أوروبا الغربية ومُستعمراتها في أمريكا الشمالية وأستراليا، بدأت مستويات المعيشة في وقت مبكر من القرن التاسع عشر، في حين تأخر هذا التغيير في العديد من المناطق الأخرى حتى النصف الثاني من القرن العشرين، مما أدى إلى تشكيل فجوات كبيرة في الثروة في جميع أنحاء العالم.

الأجيال الأخيرة في الثروة ووفيات الأطفال والعمر والمرض والتعليم والسلامة الشخصية والعديد من المقاييس الأخرى. هذا الاجتياح الغامض لمستوى الحياة هو اللغز الأول الذي تعامل معه هذا الكتاب.

اللغز الغامض لماذا لم يتغير مستوى معيشة الشخص خلال معظم تاريخ البشرية؛ ولماذا بدأت محاولته المثيرة قبل حوالي مائتي عام؟

يمكن أن يطلق على هذا اللغز «سر عصا الهوكي»: لماذا لا يبدو تطور مستوى معيشة المرء طوال تاريخ البشرية وكأنه تدرج مع ارتفاع تدريجي، بل هو مثل عصا هوكي طويلة، غالباً ما تكون أفقية، و فقط في نهاية الأمر هناك اكتساح مفاجئ؟

تم العثور على أول دليل لحل اللغز في كتابات المفكر البريطاني توماس مالتوس (باحث سكاني واقتصادي سياسي إنجليزي، مشهور بنظرياته المؤثرة حول التكاثر السكاني)، الذي وصف في نهاية القرن الثامن عشر الآلية التي استحوذت على البشرية لبعض الوقت والأعمار في فخ الفقر» وقد أدى الفائض من الغذاء الناشئ عن الابتكارات التكنولوجية مثل المحاريث الأكثر كفاءة أو مطاحن الدقيق إلى زيادة ثروة السكان مؤقتاً، مما سمح بزيادة مستويات المواليد وانخفاض معدل وفيات الأطفال؛ ولكن على المدى الطويل، أدت الزيادة في عدد السكان إلى إعادة أرغفة الخبز إلى مستواها الأولي، مما أدى إلى بقاء البشر فقراء كما كانوا. لذلك، في فترة تعرف الآن باسم «عصر مالتوسي»، أي طوال التاريخ البشري حتى التقدم الدراماتيكي، ظهر التقدم التكنولوجي في المقام الأول في عدد أكبر من السكان وأكثر كثافة، ولكن ليس تحسناً طويلاً الأجل في مستويات المعيشة وبتزايد عدد السكان، ولكن يبقى مستوى المعيشة البشري. يعتقد مالتوس أن مصيدة الفقر هذه التي ميزت

عالم قضى فيه الرجال والنساء والأطفال ساعات طويلة في نقل المياه إلى منازلهم وتشغيل أنظمة التدفئة الملوثة وغير الفعالة. عالم سيفرق في ظلام شبه كامل بعد أن اختفت الشمس وراء الأفق، حيث كانت الإضاءة المتاحة للبشر قليلة ومكلفة ومحدودة مقارنة بالمصابيح الكهربائية التي ظهرت فقط في نهاية القرن التاسع عشر. عالم يعيش فيه معظم الناس في مناطق ريفية نائية، ولا يمارسون الزراعة، ولا يبتعدون عن مسقط رأسهم، ولا يعرفون كيفية القراءة والكتابة، ويتغذون على طعام سيئ وغير مفيد. عالم لا تعني فيه «الأزمة الاقتصادية» تقشفاً أو شد حزام، بل مجاعة جماعية، في ضوء الصعوبات والمآسي التي واجهها أسلافنا، فإن العديد من المشاكل التي ابتلينا بها اليوم تبدو ضئيلة.

الافتراض الشائع بين العديد من علماء التاريخ البشري هو أن ارتفاع مستوى معيشة الشخص كان عملية تدريجية، بطيئة في البداية، واكتسب زخمًا بمرور الوقت. يعتبر التقدم التكنولوجي ومستويات المعيشة المعاصرة نتيجة لهذه العملية التدريجية من التنمية، لكنها صورة خاطئة للتاريخ البشري، حين يعكس التقدم التكنولوجي المعاصر التطور التدريجي المتسارع مع مرور الوقت، ولكن بالنسبة لمعظم هذا التاريخ، لم يُترجم هذا التقدم تحسين مستويات المعيشة، وكان الارتفاع في مستويات المعيشة بسبب كسر في الاتجاهات التاريخية، وليس عملية تسارع تدريجي.

لقد ولدنا في عصر الثراء والارتفاع المطرد في مستوى المعيشة، ومؤخراً فقط اكتسبنا منظور الوقت الذي يسمح لنا بفهم مدى استثنائية العصر الذي نعيش فيه مقارنة بالعصر السابق. فيما يتعلق بمستوى المعيشة للشخص العادي، فإن الأحداث الأخرى التي حدثت منذ تكوين الجنس البشري تتضاءل بسبب التحولات التي حدثت في

لا يمكن مقارنة أي من التغيرات التي شهدتها الجنس البشري في مستوى معيشته عبر التاريخ بالثورة التي حدثت على مدى المائتي سنة الماضية. حاول أن تتخيل رجلاً يقفز بألة زمنية من القدس في فترة الملك داود (حوالي ألف سنة قبل الميلاد) إلى القدس في الفترة العثمانية في نهاية القرن الثامن عشر قفزة حوالي ٣٠٠٠ عام. سيعجب بالتأكيد بالزيادة الهائلة في عدد سكان المدينة، والتقنيات التي لم تكن موجودة في عهد الملك ديفيد مثل البارود، وساعات البنودول وحوافر الخيل ولكن على الرغم من أن القدس في القرن الثامن عشر كانت مختلفة من نواح كثيرة عن العهد القديم، فإن المسافر عبر الزمن سوف يتكيف بسهولة مع عالمه الجديد. وسيتعرض للأمراض والأخطار والمخاطر الطبيعية المماثلة لتلك التي مر بها خلال عهد الملك داود. فالمعرفة التي اكتسبها خلال حياته ستكون عديمة الفائدة تقريباً في العالم الحديث، والمزارعين أقلية ضئيلة من السكان، وأمراض الماضي القاتلة قد انقرضت، وسوف ينظر هذا الشخص إلى التكنولوجيا كأنها سحر يُحيط بنا من جميع الجهات، حيث كان نمط حياة معظم البشر في أواخر القرن الثامن عشر أشبه بنمط حياة أسلافهم قبل آلاف السنين من نمط حياة أحفادهم اليوم. إن مستوى المعيشة المرتفع الذي نتمتع به اليوم، والتكنولوجيا الحديثة المتاحة لنا، تعكس التطور الهائل الذي حدث على مدى القرنين الماضيين.

من الصعب أن تتخيل اليوم العالم الذي انفصلنا عنه مؤخراً. كان عالماً مات فيه حوالي خمس الأطفال الرضع بسبب نزلات البرد والمجاعة والأمراض المختلفة قبل أن يبلغوا عاماً واحداً. عالم توفيت فيه العديد من النساء أثناء الولادة، عالم يُعاني فيه الكثيرون من آلام الأسنان معظم حياتهم. عالم يستحم فيه الناس مرة كل شهرين.



تتابع التطور التكنولوجي والديمقراطي للجنس البشري، مع التركيز على العديد من المعالم الرئيسية في تاريخ البشرية، وظهور الإنسان العاقل من أفريقيا، والانتقال إلى الزراعة خلال الثورة النيوليتية وعملية التحضر والثورة الصناعية، إلى العصر الحديث. من خلال القيام بذلك، كشف المؤلفان النقاب عن القوى التي دفعت التقدم التكنولوجي على مر العصور، وفحص كيف تركت الآلية التي وصفها توماس مالتوس مستوى المعيشة لمعظم البشر على حافة الوجود طوال معظم تاريخ البشرية، وأوضح كيف نجح الجنس البشري في نهاية المطاف في كسر فخ الفقر وصولاً إلى مستوى المعيشة العالي الذي يتمتع به العديد من سكان العالم اليوم.

في الجزء الثاني من الكتاب، ناقش المؤلفان أصل فجوات الثروة بين الدول والخطوات المعاكسة من الحاضر إلى الماضي، وألقى نظرة على أهمية الخصائص الثقافية والمؤسسية وغيرها في خلق فجوات الثروة الموجودة بين دول العالم، ودراسة العوامل التاريخية التي أدت إلى تكوين هذه الخصائص في بعض المناطق وغيرها، في فترات معينة وليس في غيرها.

يتطلب كسر الأنماط المركزية في رحلة الإنسانية منذ تطوير الإنسان العاقل ربط أجزاء اللغز من التاريخ البشري بصورة واحدة. أجزاء اللغز التي لدينا بالفعل هي نمو السكان، وانتشاره في كل ركن من أركان العالم منذ رحيل هومو سابينس من أفريقيا، وتسريع التطور التكنولوجي، والركود الذي لا يُمكن تصوُّره للعيش طوال معظم تاريخ البشرية، وانهاض هذا الركود في القرون الأخيرة، والتحول الديموغرافي الحداثي وتشكيل فجوات الثروة الضخمة بين دول العالم على مدى المائتي سنة الماضية؛ في حين أن الجزء المفقود والضروري من إكمال اللغز، هو الآلية الخفية وراء هذه الاتجاهات المعقدة والتروس التي تدور ببطء تحت السطح ودفعت التاريخ البشري، حتى قادت الجنس البشري إلى اختراق فخ الفقر. ستتيج لنا الصورة الكاملة حل لغز الفجوة وسر الفجوات ومناقشة السياسات التي قد تحسن رفاهية شعوب العالم.

• اسم الكتاب: رحلة الإنسانية

• اسم المؤلف: أوري كاتز، وأوديد غالور

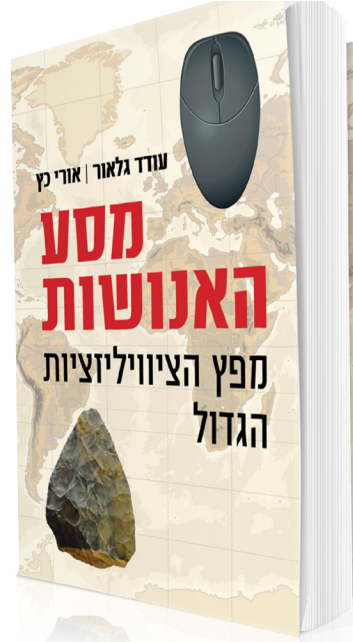
• الناشر: كينيريت زهورا ديفير

• سنة النشر: مارس 2020

• اللغة: العبرية

• عدد الصفحات: 320

\* أكاديمية مصرية



تكنولوجيا أكثر تقدماً ويستفيدون من عمال أكثر تعليماً ومستويات أعلى من رأس المال المادي (الآلات والمصانع). لكن هذا التفسير قد أعاد الغموض خطوة إلى الوراء، فما هو مصدر الفجوات في التكنولوجيا والتعليم ورأس المال المادي، وما الذي يمنع الدول الفاشلة من إغلاقها وتقليل فجوات الثروة؟ بالنظر إلى العائد المرتفع على الاستثمار في البلدان المتدهورة، من المرجح أن تكون المؤسسات الدولية سعيدة بتمويل الاستثمارات في البنية التحتية والمصانع والمؤسسات التعليمية في هذه البلدان. قد يتعاون حكام البلدان الفقيرة الأقل استنارة، لأن التنمية الاقتصادية قد تمكنهم من البقاء السياسي وزيادة عائدات الضرائب. ومع ذلك، فني كثير من البلدان الفقيرة، لا تسهم وتيرة التنمية الاقتصادية في تقليص الفجوات التي تفصلها عن البلدان المتقدمة.

في العقود الأخيرة، كان تحقيق «الانفجار الكبير» في فجوات الثروة هو الهروب من فخ مالتوس الذي حدث في بعض بلدان العالم منذ حوالي قرنين من الزمان، وفي بلدان أخرى فقط في العقود الأخيرة. الخصائص الحديثة مثل رأس المال المادي، والمستوى التعليمي، والمستوى التكنولوجي ليست سوى أعراض للمتغيرات الجغرافية والثقافية والمؤسسية وغيرها من المتغيرات التي أدت ببلدان مختلفة إلى مسارات تاريخية مختلفة وساهمت في التاريخ المختلف للتصعيد على مستوى المعيشة واتساع الفجوات. لذلك، من أجل تتبع الأسباب النهائية لفجوات الثروة، من الضروري التراجع منذ زمن طويل.

بدأ الكتاب رحلته عند نقطة بداية الإنسانية نفسها، وتطور الإنسان العاقل (الإنسان الذكي) في شرق إفريقيا منذ حوالي 300,000 سنة. في الجزء الأول من الكتاب، سوف

التاريخ البشري دائماً، سيبقى إلى الأبد، لكن المفارقة أن الآلية التي وصفها لم تعد موجودة في الوقت الذي كتب فيه كتابه. فلا نعلم كيف كسر الجنس البشري مصيدة الفقر والخروج من عصر مالتوسي.

على الرغم من الأهمية الحاسمة التي يكتسبونها لفهم فجوات الثروة الحديثة، حتى وقت قريب، لم يتم معالجة عملية التنمية في العصر المالتوسي ولم يتم الخروج من مصيدة الفقر المالتوسية بشكل صحيح. تم فصل العديد من العلماء عن عملية التنمية في العصر الحديث وفي العصر المالتوسي، ولكن لم يتم القيام بمحاولات ضرورية لسد العصور المختلفة من خلال إطار فكري موحد يتتبع تطور المجتمع البشري من المبكر إلى الحاضر.

على مدى العقدين الماضيين، طور أوديد غالور، أحد مؤلفي هذا الكتاب، بالتعاون مع زملائه الباحثين، نظرية النمو الموحد، التي تعمل كإطار موحد يلقي الضوء على جذور مستويات المعيشة الدرامية وخلق التفاوت أو عدم المساواة في ثروة الأمم. تشير النظرية الموحدة، والعديد من الدراسات التي تلت ذلك، إلى أن بصمات الماضي البعيد تُحيط بنا من كل جانب، مما يؤثر على مصير الأمم والشعوب. يسمح لنا تحليل أنماط التطور التاريخي بتمييز التغييرات التدريجية في خصائص السكان البشريين، والتي ساهمت في الانتقال من الركود إلى النمو وتقدم الإنسان إلى العالم الحديث.

يتناول الجزء الأول من الكتاب العوامل التي دفعت عملية تنمية المجتمع البشري من حقبة من الركود إلى فترة من الازدهار والنمو المستمر في مستوى المعيشة. تليها العمليات التي أدت إلى إزالة الجنس البشري من فخ الفقر الذي ظل فيه البشر محاصرين لمئات الآلاف من السنين، وتعرضوا لعجلات المسيرة التي دفعت عملية التنمية عبر التاريخ البشري، وسارعت وتيرة التقدم التكنولوجي، وفي نهاية العملية، خلقوا الحوافز لتغيير سلوكي مهم وغامض إلى حد ما مكن من تصعيد مستوى معيشة الشخص، وهو التغيير الديموغرافي. بدأ هذا التغيير، الذي انعكس في الانخفاض الحاد في معدلات المواليد والوفيات في معظم الدول الغربية قرب نهاية القرن التاسع عشر وفي البلدان النامية خلال القرن العشرين، وسمحت التحسينات التكنولوجية برفاهية السكان.

إن حل اللغز الأول، وفك رموز أسباب مصيدة الفقر المالتوسي والتحول الديموغرافي، سيتيح لنا التعامل مع اللغز الثاني، وهو لغز الثغرات. ما هو مصدر فجوات الثروة بين دول العالم؟ لماذا اتسعت هذه الفجوات بشكل كبير خلال المائتي سنة الماضية؟

في الماضي، تم تقديم تفسير بسيط على ما يبدو لغموض التفاوت في البلدان الأكثر ثراءً، حيث يتم استخدام

# إصدارات عالمية جديدة

آخر الإصدارات باللغة الفرنسية (سعيد بوكرامي)

الكتاب: حساب اللغات.

المؤلف: جاك دريدا.

الناشر: دار سوي، فرنسا، 2020م.

عدد الصفحات: 108 صفحات.



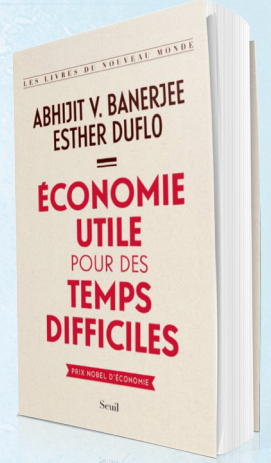
«حساب الكلمات».. نص ملغز وجديد تمامًا، يشير إلى محاولة جاك دريدا الأولى لكتابة كتاب في عمودين. كان قد أعلن عن نشره في أرشيف دو فريغول (1973)، لكنه لم ينشر أبدًا خلال حياة المؤلف، ولحسن الحظ عثر على نسخة مطبوعة من هذا المشروع غير المكتمل لديدا بعد وفاته. إن نشر هذا النص الأصلي بعد وفاته يسלט الضوء على مختبر طباعي حقيقي، قبل كتابة أحد أشهر نصوصه، غلاز (1974). يمارس دريدا جرأة في الكتابة إذ يقطع الصفحة إلى النصف من أجل إعادة التفكير في العلاقة بين الفلسفة والكتابة. وليواصل التفكير في علوم اللغة في القرن الثامن عشر الذي بدأه عام 1967 بكتابه عن الغراماتولوجيا، يقدم دريدا هنا قراءة في جزء مزدوج من فن الكتابة عند كوندياك. ولكن بعكس ما قام به في غلاز، يضع دريدا عموده الأول عن الفيلسوف (هيجل) في مواجهة مع مؤلف أدبي ل (جينيه) في العمود الثاني. إذا كان العمود الموجود على اليسار يقدم تفسيرًا تقليديًا ومنهجيًا إلى حد ما لفن الكتابة، فإن العمود الموجود على اليمين يتجول بلا توقف، مضاعفًا أسراراته نحو فرويد والمفكرين الآخرين، بحثًا عن متعة الكتابة التي تنفلت عادة من الفلسفة. وبالتالي، تتمكن من قراءة كوندياك في عمودين، ولكن أيضًا في «نمطين» كما يشير العنوان الفرعي. يعتبر هذا العمل فريدا من نوعه ضمن المجموعة الدريدية إذ يقدم واحدا من أجمل التجارب في الكتابة التفكيكية.

الكتاب: الاقتصاد النافع في الأوقات الصعبة.

المؤلف: إستر دوفلو وأبهيجيت ف. بانيرجي/ جائزة نوبل في الاقتصاد.

الناشر: دار سوي، فرنسا، 2020م.

عدد الصفحات: 544 صفحة.



يشكل الكتاب الحديث للأكاديميين المعروفين إستر دوفلو وأبهيجيت ف. بانيرجي -الحاصلتين على جائزة نوبل في الاقتصاد عام 2019 أهمية قصوى؛ لأنه يسعى إلى «المحافظة على الأمل من خلال الحديث عن الأخطاء، ولماذا وقعت، وأيضا لنجعل الأمور تسير في الاتجاه الصحيح». كما تقول مؤلفاته. وكذلك لمواجهة اللامساواة المتفجرة والكوارث السياسية والكوارث البيئية التي تهدد جميع الجهات، يبين هذا العمل أن الأوان لم يفت بعد. إذا كانت خيارات السياسة العامة قد أوصلتنا إلى ما نحن عليه، فلا يوجد شيء يمنع الآخرين من القيام بذلك وبالتالي يصبح العالم اليوم متتالية من الأزمات نتيجة سلسلة من الأخطاء. تتعقب هذه الصفحات الأدلة الزائفة حول القضايا جميعها والتي تعتبر الأكثر إلحاحًا: الهجرة والتجارة الحرة والنمو وعدم المساواة وتغير المناخ. كما تظهر بالدليل القاطع أين ومتى فشل الاقتصاديون، الذي أعماهم الأيديولوجيون. لكن الكتاب لا يكتفي بقلب الأفكار المسبقة فقط، بل إنه يستجيب لإلحاح الأوقات العصيبة من خلال تقديم مجموعة من البدائل للسياسات الحالية. يمكن للاقتصاد الجيد أن يفعل الكثير. استنادًا إلى أحدث التطورات في مجال الأبحاث، وبناءً على التجارب والبيانات الموثوقة، وبذلك يصبح رافعة لبناء عالم أكثر عدالة وإنسانية. إستر دوفلو وأبهيجيت ف. بانيرجي باحثتان مشهورتان عالمياً، وأستاذتان للاقتصاد في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا). وقد تكلت جهودهما بجائزة نوبل في الاقتصاد.

الكتاب: صناعة التراث المكتوب. المؤلف: فابيان هينريو.

الناشر: منشورا l'ensib، ليون، فرنسا، 2020م. عدد الصفحات: 307 صفحات.

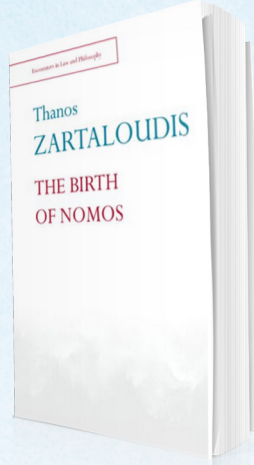
يشكل التراث رهانا ثقافيا وسياسيا مزدوجا.. يعتبر في بعض الأحيان تراثا ماديا ينتقل بشكل طبيعي من الماضي وتتم المحافظة عليه، وأحيانا أخرى كقاعدة من القيم المستخدمة لبناء المجتمع، على جميع المستويات الإقليمية. إن كل ما يتعلق بالتراث في الفضاء الاجتماعي يتنوع مع مرور الوقت، فإن «التراث المكتوب» ليس استثناءً عن القاعدة، في أشكاله وفي مضامينه. من خلال توسيع مفاهيم الثقافة والممارسة والانتقال، لهذا قام الباحثون والباحثات في هذا الكتاب النوعي بدراسات في مجالات ثقافية جديدة، وبالتالي عملوا على سندات وقوالب من الرسوم والأيقونات ذات قيمة تراثية. بالإضافة إلى اشتغالهم على كنوز المخطوطات وأرشيف المؤلفين والعالم الأثرية العظيمة الأخرى في تاريخ الطباعة، كانت هناك أشياء تحريرية أساسية؛ مثل: دراسة الكتابات البروتستانتية، والصحافية الإقليمية، والأدبية الشعبية (على سبيل المثال: نموذج المكتبة الزرقاء). أدب الأطفال أو الكتب المدرسية. وبذلك انتقلت دراسة التراث من المعالم البارزة إلى تراث مادي لم يكن يثير الاهتمام ويتميز بقيمته الثقافية والأثرية. يشكل الكتاب أهمية قصوى لأنه جمع عددا من الأكاديميين وأمناء المكتبات من إيطاليا إلى بلجيكا، ومن رايونلاند إلى آكيتاين، وأيضا من بيت الكاتب القروي إلى اللوحات الرقمية العالمية، لتوضيح كيف يؤدي العمل العلمي والتقني إلى التأكيد، من خلال مضاعفة القراءات، على أهمية الطابع التراثي للأعمال والمجموعات وحتى المنشآت التي لم تكن في السابق تصنف تراثا ماديا وصارت اليوم تشكل أهمية ثقافية وحضارية بالغة.



# إصدارات عالمية جديدة

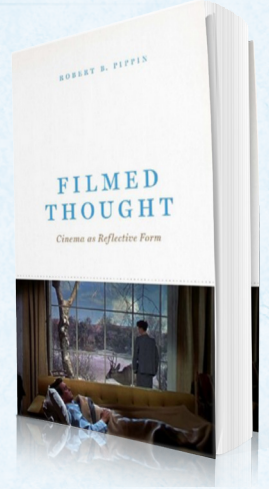
## آخر الإصدارات الفلسفية في اللغة الإنجليزية (محمد الشيخ)

الكتاب: مولد الناموس "القانون".  
المؤلف: طانوس زارتالوديس.  
الناشر: مطابع جامعة إدنبره.  
2020م.



قديمًا عرّبت العرب معنى «القانون» عن اليونانية Nomos بلفظ «الناموس». ويبدو أن اللفظ كان متداولًا لدى أوساط النصارى العرب حتى قبل مجيء الإسلام، كما نقل في حديث ورقة بن نوفل إلى خديجة بمناسبة أول علامات بعثة نبي الإسلام: «يا خديجة، لقد جاء الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى، وأنه لنبي هذه الأمة». ثم غلب لفظ «القانون» على «الناموس»، فكان أن نُسِيَ النسيان في مختلف لغات العالم الحية. لكن، ها هو باحث شاب مجتهد مهتم بفلسفة الحق وبالنظرية السياسية، محاضر في عدة جامعات ببريطانية، يطل علينا بكتاب فريد بديع يذكرنا فيه بميلاد هذا المفهوم في الفكر السياسي والفلسفي الإغريقي القديم. هذا ويستقضي صاحب الكتاب «نسابة» هذا المفهوم لدى قدماء فلاسفة وشعراء وكتاب المسرح من الإغريق (هوميروس، هزيودس، هرقليطس، أسخيلبيوس، سوفوكلس، يوربيدس، أفلاطون...). وينقل نصوصًا من المظان القديمة في أصولها وفي ترجمتها الإنجليزية، مبرزًا كيف تم استخدام هذا المفهوم في سياقاته. وهو لا يكتفي بذلك، بل ينتقل بنا إلى الفكر المعاصر وإلى استخداماته المتجددة لهذا المفهوم عند بعض كبار فلاسفة عصرنا (أجامبين، فوكو، هايدجر، شميت، دولوز، أكسيلوس...) ويبادر إلى إعادة فحص تأويلاتهم لهذا المفهوم في عمل أكاديمي جاد.

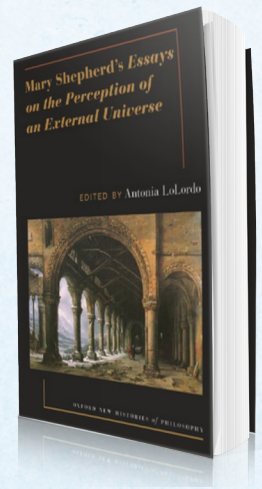
الكتاب: الفكر حين يتم تصويره  
فيديو.  
المؤلف: روبير بوفورد بيبين.  
الناشر: مطابع جامعة شيكاغو.  
2020م.



من عوائق ممارسة الفلسفة بالعالم العربي تحويلها إلى نقاش جدلي عقيم لا يستند إلى علم ولا إلى فن، وذلك حد تصييرها وكأنها طاحونة تصحن قرونا. هذا بينما من علامات حيوية القول الفلسفي في الغرب استناد الفلاسفة إلى ثقافة عصرهم العلمية والفنية من أجل التفلسف بحي الفلسفة. والشاهد على الوضع المبتسئ لبعض أنماط الخطاب الفلسفي المجتر في العالم العربي أنه يكاد مبحث عظيم من مباحث الفلسفة - فلسفة السينما أو فلسفة الفيلم - يغيب عن هذا الفكر. وفي هذا الكتاب، ينبري فيلسوف أمريكي عرف بكتاباتة حول هيجل وكانط ونيتشه، وبانفتاحه الشديد على فلسفة السينما، للحديث عن «الفكر الذي تم تصويره فيلمياً». أجل، لم تُعمل الصورة - كما هي في الغالب عندنا - للاستهلاك السلبي وللإستمتاع العابر وللافتشاء العرضي، وإنما لتدعونا إلى الفكر. وهذا ما يحاول هذا الكتاب أن يبرهن عليه من خلال تحليل نماذج أفلام متنوعة، وبهاجس تطبيقي - في ضرب من «الفلسفة التطبيقية» أو «الفلسفة المطبقة». إنه يدعونا إلى أخذ السينما مأخذ الجد، لا بحسبانها «فناً» فحسب، وإنما باعتبارها أيضاً «فكراً»؛ أي أنه يبرز كيف توفر هذه الوسيلة شكلاً فريداً للتفكير في ما معنى أن تكون إنساناً.

الكتاب: مقالات ماري شيفرد عن إدراك الكون الخارجي.  
المؤلف: ماري شيفرد وأنطونيو لوردو.  
الناشر: أكسفورد تواريخ الفلسفة الجديدة، 2020م.

كثير هو الظلم الذي أنزله مؤرخو الفلسفة بالمرأة؛ إذ تكاد كتبهم في تاريخ الفلسفة تخلو من الإشارة إلى فيلسوفات نسوة. وحين يحدث لهؤلاء المؤرخين الذكورين أن يشيروا إلى النساء الفلاسفة، فبالعادة، ولا يقضون هم أبداً على النساء الفيلسوفات. وكان المرأة عندهم خلقت لكي لا تتفلسف، وكان الفلسفة أنشأت لكي لا تهتم بها المرأة. لكن العقود الأخيرة شهدت، لا سيما مع ظهور «الفلسفة النسائية»، على بداية إجلال هذا الظلم. وهكذا، علاوة على تأنيث الفلسفة في زماننا بظهور عشرات الفيلسوفات الغربيات اللاتي أنهين احتكار الرجال للقول الفلسفي، وذلك حتى في مجالات كانت رجولية خالصة شأن فلسفة الرياضيات وفلسفة المنطق، فقد صار هناك اهتمام كبير بالفيلسوفات في الحضارة الغربية من عهد الإغريق إلى العصر الحديث. لكننا في العالم العربي، لا نزال نعجز عن أن نذكر ولو فيلسوفة واحدة ذكرت في التراث. وهذا الكتاب الذي بين أيدينا جمع بين الحسنين: نفض هو الغبار في تاريخ الفلسفة الحديثة عن فيلسوفة لا تكاد نسمع عنها شيئاً في العالم العربي هي الفيلسوفة البريطانية ماري شيفرد (1777-1847)، وأبرز مساهمتها في حقل يكاد يكون حكراً على الرجال: فلسفة المعرفة والميتافيزيقا؛ وذلك بتجميع بعض أهم أعمالها: مقالة في الفلسفة الأكاديمية أو الشكية؛ فضلاً عن متفرق مقالات أخرى في عدة موضوعات (في المعرفة، في الحواس، في البرهان الرياضي، في المعجزات، في العلل النهائية، في عدم مادية الذهن، في تعاقب النفس والبدن، في البصرييات...).



## مجلة التفاهم

عنوان العدد: الفرد والجماعة ومشكلات الاختلال العالمي

عبدالرحمن السالمي

### آفاق

- المؤلف الإنساني ونقد سياسات الهوية طارق متري
- إسهام لاهوت الأديان في بناء المؤلف الإنساني عز الدين عناية
- المؤلف الإنساني: رؤية كونية محمد الشيخ
- القيمة والحق وتداولية المؤلف الإنساني رضوان السيد

### المحاور

- الإنسان والكون والاستخلاف في القرآن الكريم نحو رؤية إسلامية متوازنة عبد المالك أشهبون
- الرؤى اليونانية للعالم ومنزلة الإنسان عبد الرزاق بلعقروز
- الإتيقي والسياسي في الفلسفة اليونانية معز مديوني
- حالة الأزمة في العالم المعاصر وإلى أين يتجه العالم والإنسان؟ فتحي المسكيني
- الإنسان والعالم: تصوّرات الفلاسفة المعاصرين (مارتن هايدغر، غونتر أندرز، بيتر سلوتردايك) - محمد الشيخ
- نظريات التنمية وأسباب التأزم: دراسة نقدية عبد السلام نوير
- إشكاليات الدين والعلمانية والدولة المعاصرة في ضوء جديد رضوان السيد
- ما بين الهوية والشعبوية: جدل الهبوط والصعود في قيم الانتماء في العالم المعاصر - أحمد زايد
- الدولة - الأمة؛ قضاياها وتحولاتها المعاصرة محمد نور الدين أفاية

### دراسات

- المعرفة والتراث العلمي في الإسلام ما قبل الحديث: إرث فكري في مجال التقاطع بين التعليم والدين - سيباستيان غونتر
- مسألة العدالة عند الفارابي وأبي الوليد بن رشد: دور النفس في القول الفلسفي العذل - يوسف بن عدي

### وجهات نظر

- مقد الإغاثة في الإسلام: نظرة في المقومات والأسس - محمد المنتار
- العلمانية: مخاض التاريخ ورؤى الحاضر والمستقبل - براق زكريا



النصوص المنشورة تعبر عن وجهات نظر كتابها ولا تعكس بالضرورة رأي مجلة التفاهم أو الجهة التي تصدر عنها

مجلة التفاهم هاتف: 24644031 - 24644032 +968 , فاكس: +968 24605799

البريد الإلكتروني: www.altafahom.net - al.tafahoom@gmail.com - tasamoh@gmail.com